الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
كلية العلـوم الإسلاميـــــة
قسم الحضارة الإسلامية

الإعجاز في القرآن الكريم عند مالك بن نبي
من خلال كتابه – الظاهرة القرآنية –

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي
تخصّص: لغة عربية ودراسات قرآنية

إعداد الطالبة:
– حمدي مليكة

إشراف الأستاذ الدكتور:
قيطون قويدر

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
ميلود عمارة	أستاذ محاضر	الشهيد حمة لخضر. الوادي	رئيسا
قويدر قيطون	أستاذ تعليم عالي	الشهيد حمة لخضر. الوادي	مشرفا ومقررا
إدريس ريمي	أستاذ محاضر	الشهيد حمة لخضر. الوادي	مناقشا

الموسم الجامعي: 1442/1443هـ – 2021–2022م

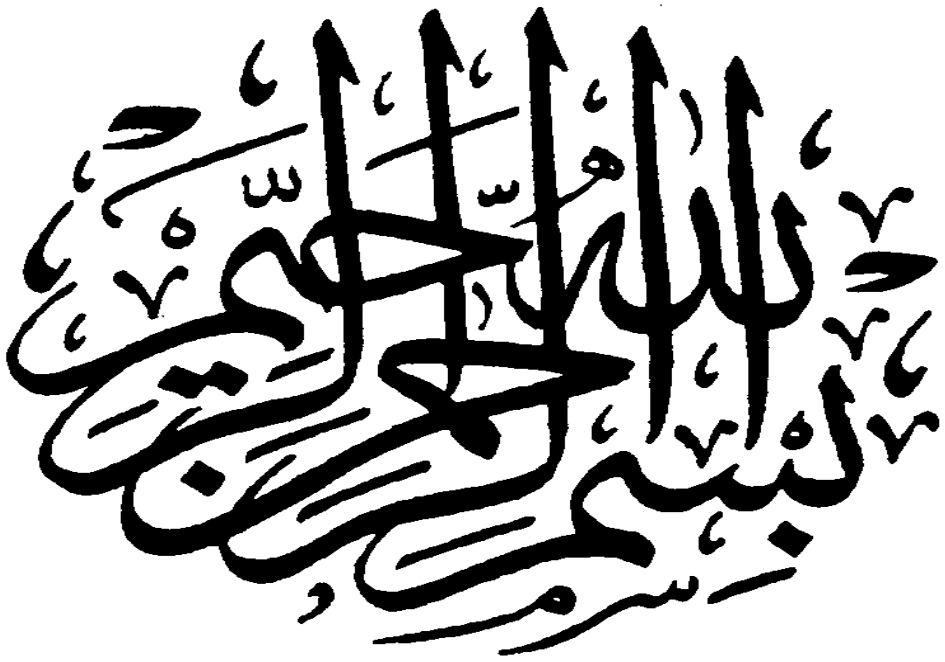

شكر وعرفان

إن الحمد و الشكر لله دائما ابدا

و لمحمد من أنار الدجى

بنور علم ونور هدى

ولمن كان سببا في نبض قلب له في شرايين أعمق صدى

أبي وأمي من صنع ما مني للناس بدا

أخوتي سند ظهري وقوتي عنما يشتد الضباب في المدى

زوجى و أطفالي هدية الرحمان من سابع سما

أساتذتي من أول يوم في مدرستي، جميعهم إلى يومي، منارة علم وتقى

أطفؤوا نار جهلي و أناروا بالعلم الدنى

وكل من أدى إلي بقبسة نصح ظن أنها ستبلغني أقصى مدى.

ألف شكر ومن دونكم ما كنت لأبلغ أبدا.

المحتويات	الصفحة
شكر وعرفان	
فهرس المحتويات	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي	
أولا – تقديم كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي	08
ثانيا – تعريف مالك بن نبي	11
– 1– حياته وفكره	12
– 2 – أهم مؤلفاته	13
ثالثا – الإعجاز في القرآن	14
–1– مفهوم الإعجاز	14
–1– أ– لغة	14
–1–ب – إصطلاحا	14
–1– ج– الإعجاز في القرآن عند مالك بن نبي	15
–2– التطور التاريخي لاستخدام المصطلح	17
–2 – أ – إعجاز القرآن في عصر النبوة	17
–2– ب– إعجاز القرآن في المؤلفات القديمة	18
–2– إعجاز القرآن في العصر الحديث	24
–3– أوجه الإعجاز في القرآن	25
–3– أ– الإعجاز البياني	26
–3–ب– الإعجاز العلمي	27
–3–جـ – الإعجاز التشريعي	28

-3- د- الإعجاز الغيبي	28
الفصل الاول: **النبوة وعلاقتها بالإعجاز في القرآن عند - مالك بن نبي-**	
تمهيد	31
أولا- النبوة	32
- 1- مفهوم النبوة	32
- 1-أ- لغة	32
- 1- ب- اصطلاحا	32
- 1- جـ - النبوة عند لمالك بن نبي	33
- 2- مميزات النبي	33
ثانيا- إدعاء النبوة	34
-1- أسباب ظهور مدعي المنبوة	34
-2- الفرق بين النبي و مدعي النبوة	35
-3- صفات مدعي النبوة	36
ثالثا - خصائص النبوة	37
رابعا- الإعجاز النبوي إثبات من خلال بحث المصادر	38
-1 صحة مصدرية القرآن	38
-2 صحة مصدرية الحديث النبوي الشريف	38
خامسا- الإعجاز من خلال حياة الرسول صلى الله عليه وسلم	40
-1- عصر ماقبل البعثة	40
-2- عصر القرآن (نزول الوحي)	41
سادسا- كيفية الوحي	43
-2- اقتناع النبي الشخصي	43

-2- أ- المقياس الظاهري	43
-2- ب- المقياس العقلي	45
سابعا- مقام الذات المحمدية	46
- 1- الفكرة المحمدية	47
- الرسالة	49
خلاصة	50
الفصل الثاني: **الوحي وعلاقته بالإعجاز القرآني عند مالك بن نبي**	
تمهيد	52
أولا– الخصائص الظاهرية للوحي	53
- 1- مفهوم الوحي	53
-1- أ- لغة	53
-1- ب-شرعا	53
-1-ج- مفهوم الوحي عند مالك بن نبي	53
- 1- صورالوحي	55
-1- أ- الوحي المباشر	55
-1- ب-الكلام من وراء حجاب	55
-1-ج- الوحي عن طريق الرسول	55
2- الخصائص الظاهرية لوحي	56
2- أ- تنجيم الوحي	56
2-ب- أهمية التنجيم	57
2- ج- الوحدة الكمية عنج مالك بن نبي	58
ثانيا– أوجه الإعجاز في الوحي	58

1- أوجه الإعجاز في القرآن من خلال الوحي	60
1-أ- الاعجاز النفسي (الروحي)	60
1-أ-1- أنواع الأنفس التي يخاطبها القرآن الكريم	61
1-أ-2- المعاني المتعلقة بكلمة النفس كما جاءت في النص القرآني	61
1-أ-3- خصائص النفس الإنسانية كما جاءت في النص القرآني	62
1-أ-4- الإعجاز النفسي في الدراسات السابقة	63
1-ب- إثبات الاعجاز من خلال موضوعات الرسال كما ذكرها مالك بن نبي	64
1-ج- بيان إعجاز النص القرآني من خلال لغته و بلاغته	65
2- الإعجاز من خلال القيمة الاجتماعية لأفكار القرآن	67
ثالثا- الفرق بين جاء في النص القرآني و سفر التكوين	68
1- مفاهيم غيبية يتقبلها العقل و لا تدركها الحواس	68
2- أخرويات (مفاهيم متعلقة بما يحدث بعد الموت)	69
3- كونيات(مفاهيم متعلقة بحقيقة خلق الكون)	69
4- أخلاق	70
5- اجتماع	70
رابعا- تاريخ الوحدانية	70
خامسا- قصة سيدنا يوسف في القرآن والكتاب المقدس	70
1- استخلاص نقاط الاعجاز من خلال المقارنة بين القرآن و الكتاب المقدس	71
سادسا-إعجاز القرآن من خلال موضوعاته ومواقفه	71
1- إرهاصات القرآن	74
2- مالا مجال للعقل فيه	75
3- الإعجاز من خلال تحديد المناقضات	77
4- الموافقات	79

خلاصة	82
خاتمة	84
قائمة المصادر والمراجع	90
فهرس الآايات القرآنية	95
فهرس الأحاديث النبوية	98
فهرس الأعلام	99

مقدمـــة

مقدمة:

لقد أحيط القرآن الكريم منذ نزوله إلى يومنا هذا بالدراسة و العناية البالغة على جميع الأصعدة و في جميع التخصصات، فظهرت العديد من العلوم التي خصت هذا النص بالتحليل و التمحيص. و من بين هذه العلوم نجد الإعجاز في القرآن و الذي نحن بصدد دراسته، حيث يرد الدارسون أول ظهور له في القرن الثالث للهجري على يد الجاحظ وقبله أستاذه النظام، وجاء بعدهم الكثير، فمنهم من أظاف إلى هذا العلم من أمثال عبد القاهر الجرجاني و الرماني و الباقلاني...إلخ، و منهم من كانوا عالة على هذا العلم.

إذا تأملنا هذا العلم نجد أنه قد شمل العديد من الفنون التي يرى روادها أنها تمثل حقيقة الإعجاز في القرآن، إلا أنها فنون لا يدركها في معضمها إلا روادها و العارفين بها ، فليس للعامة أو من هم خارج مجال الإختصاص أن يفهموها أو يدركوا معظم معانيها، وفي خظم بحثي المتعلق بالإعجاز في القرآن من خلال كتاب –الظاهرة القرآنية– لمالك بن نبي راودتني العديد من التساؤلات، أهمها كيف نظر مالك بن نبي للإعجاز في القرآن؟

إذا قلنا أن القرآن جاء لأهل اللغة والبيان، فلم يعد من الناس اليوم من يدرك هذا البيان، إلا قلة من المتخصصين: فكيف يكون الإعجاز لمن لا يدرك فحوى هذه الكلمات، وما ترمي إليه هذه المعاني والعبارات؟

من خلال بحثي و محاولتي الإجابة عن هذه الأسئلة حاولت أن أتتبع نقاط الإعجاز في القرآن الكريم التي نوه إليها مالك بن نبي و أسلوبه الذي تفرد به، وقد وجدت أنه قد طرح من قبل، إلا أن هذه الأبحاث كانت تخوظ في غير فحواها أو تخرج عن نطاقه، مثلا مقالة زينب بوتشيش – جامعة تلمسان–[1] و التي كانت مقالتها خلطا بين الصوفية و الإعجاز في القرآن، ومالك بن نبي لم يتكلم عن الصوفية في كتابه الظاهرة القرآنية ، فقد إفتتحت مقالتها بالحديث عن الصوفية و أحاطت بكل جوانبها ثم تحدثت عن الإعجاز في القرآن إذ اكتفت

[1]- زيينب بوتشيش، إعجاز القرآن في فكر مالك بن نبي، مجلة الامارات – جامعة تلمسان-، المجلد2، العدد1، مارس 2018م

بصفات النص و لم تتطرق لتوابعه فكان النص القرآني بالنسبة لها معجزا لذاته فهو عن دون الكتب السماوية الأخرى حافظ على كل مقوماته، ولم تتبع ماجاء به مالك بن نبي، و الذي أثبة صفة النبي و مقوماته لكي يصل في الأخير بالقارئ إلى تصديق معجزة القرآن و كل مقوماته التابعة إليه و غيرها من الملاحظات ، و نجد مقالة عبد الرحمن تركي – جامعة الوادي–[1] الذي افتتح مقالته بالحديث عن الظروف السياسية و الفكرية السائدة في السبعينات و التعامل العام مع النص القرآنية من حيث الدراسة و النقد و الذي أظن أنه خارج عن الهدف الأساس من المقالة غير أن حديثه عن الإعجاز كان منظما و مرتبا حسب المنطق الذي تبعه مالك بن نبي وذا أفكار غزيرة رغم الصفحات القليلة، هذا رأيي و الله أعلم، وغيرها من المقالات العديد ، و هكذا كان من أهم الأهداف للعمل هو التركيز على النقاط التي أشار إليها مالك بن نبي لا أتجاوزه بحال، في محاولة لاستدراك الخلل الذي وقع فيه غيري ممن خاض في نفس الموضوع، كما كان من بين أهدافي تبسيط فكر مالك بن نبي، فأسلوب مالك بن نبي ليس بالسهل و اليسير الفهم، فقد كان فيه الكثير من الفكر و المفاهيم المستوحات من الفلسفة و الرياضيات و التي و بالتأكيد كانت نابعة من تكوينه العلمي و ميولاته الفكرية، ولا ننسى أن كتاب الظاهرة القرآنية كتاب مترجم، فمن المستحيل أن يأتي المترجم بنفس أسلوب الكاتب ولو بلغ من السعي الكثير.

إن أهم ما شجعني لأدرس الإعجاز من خلال كتاب مالك بن نبي، هو إنتماءه الجزائري، فكما يعلم الجميع، فإن العلماء المشارقة أكثر شهرة من المغاربة في علوم الدين، لهذا ارتأينا أن نطلع على الفكر المغاربي، ودراسته للإعجاز من خلال فكر مالك بن نبي، ولا ننسى أن نشير أن الموضوع أولا وقبل كل شيء هو اقتراح الأستاذ المشرف.

لقد حاولت من خلال دراسة كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي أن أحيل القارئ لاستيعاب أن القرآن حقا معجزة و التي حص بها سيدنا محمد ﷺ، و هي معجزته التي خصه

[1]- عبد الرحمان تركي، إعجاز القرآن من خلال الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي،مجلة البحوث و الدراسات) جامعة الواجي، العدد الأول، ربيع الأول 1425ه – أ فريل 2014.

الله بها كما خص كل نبي قبله بمعجزة تبرهن صدقه وبراءته مما جاء به و دليل على أنه من رب العالمين، و لأجل هذا فقد كان بحثي عبارة عن محاولة لإقتناص نقاط الإعجاز التي أحاطها مالك بن نبي بالدراسة والتحليل. ولمعالجة هذا الموضوع قسمت عملي إلى جانبين:

الجانب النظري ويشمل:

فصل تمهيدي، ويتمثل في الإحاطة بالإعجاز من حيث المفهوم، والنظر إلى التطور التاريخي الذي مر من خلاله هذا المصطلح، بالإضافة إلى طرق بعض أبوابه والنظر إلى أهم من قدم لهذا العلم وأجاد فيه بشيء من الإختصار.

أما **الجانب التطبيقي**، تطرقت فيه إلى الأبواب التي طرحها مالك بن نبي في الإعجاز من خلال فصلين:

- الفصل الأول (النبوة وعلاقتها بالإعجاز) :

حاولت من خلال هذا الفصل أن أبرز الإعجاز بإثبات صدق النبي وصدق النبوة وإثبات حقيقة إنفصال الذات المحمدية عن ذات الوحي وعدم تدخل النبي لا بفكرة ولا خاطرة في الوحي، ودللت لذلك بشخص النبي أرمياء[1] و الحالة النفسية التي كان يمر بها ، ثم ختمنا بالرسالة التي جاء بها محمد ﷺ إلى البشرية.

الفصل الثاني (الوحي وعلاقته بالإعجاز في القرآن): هنا ومن خلال هذا الفصل حاولت أن أحيط بحقيقة إعجاز الوحي وذلك بإبراز صوره باختصار، مع ضرب بعض الأمثلة تفنيدا لحقيقة الإعجاز بمجموعة من القصص من سيرته ﷺ، بوصفه منفصلا عن ذات النبي، نبرز الموقف و نحلله و نؤكده بشهادة من الوحي أو السيرة . كما تكلمت على ظاهرة التنجيم التي لها من الحكمة الكثير، وكيف لم يكن له أن ينزل دفعة واحدة، بالإضافة إلى الوحدة

[1] - - أرمياء احد انبياء بني إسرائيل. هو أرمياء و قيل: أرميا، وقيل رميه، وقيل: حلقياء من سبط ابن النبي يعقوب عليه السلام، وقيل من سبط هارون بن عمران أخي موسى بن عمران، عاش نحو 650، 585 ق.م ، لم يذكر في الكتاب و لا السنة.ذكره مالك بن نبي كمثال على الحالة النفسية التي تصيب الأنبياء و ثباتهم رغم مايصيبهم من ضلم وقهر. ينظر، مالك بن نبي، الظاهرة القرأنية،ص: 92-97.

الكمية، كما جاءت في كتاب مالك بن نبي، ثم انتقلت في تسلسل منطقي إلى أوجه الإعجاز، كتكملة لما تقدم ذكره في الفصل التمهيدي من إعجاز نفسي، وإجتماعي وبلاغي، مبتغية بذلك ترسيخ الفكرة، وتأكيد المعاني المراد إثباتها من صدق النبوة و الوحي.

ثم إنني لم أهمل دراسة الإعجاز من خلال مضمونه. فقد مارس مالك بن نبي طريقة ذكية لمحاججة خصمه و ترغيب مريده، وذلك من خلال بناء مقارنة للقرآن الكريم بالكتب السماوية الأخرى فاتبعت خطاه، فقد تمكن و بطريقة عبقرية أن يؤكد فرضيته في حقيقة وجود الوحي وحقيقة النبوة، ثم إنه جزم حقيقة إعجاز القرآن و أنه من رب العالمين، ودفع القارئ لأن يستنتج بمفرده إنفصال ذات النبي على ما يوحى إليه، وهاذا ما حاولت أن أبرهنه من خلال الفصل الأخير، وذلك بتتبع أفكاره في التدليل والبرهنة ببناء مقارنة بين الكتب السماوية الأخرى، فقد قدم مالك بن نبي مثالا على ذلك قصة سيدنا يوسف عليه السلام، كيف سردت في القرآن الكريم والخلل الذي وقع في القصة في كتاب يوحنا. كل هذه نقاط طرقناها ضمن ما قدمه مالك بن نبي بين سطور كتابه الظاهرة القرآنية.

ولإنجاز هذا العمل، اتبعت المنهج الوصفي التحليلي في معظمه. أتتبع مضمون الكتاب، وأستخلص نقاط الإعجاز التي ذكرها الكاتب ضمن سطور مؤلفه، فأذكر الفكرة أحيطها بالوصف والشرح مع الإختصار قدر الإمكان. بالإضافة إلى الإلتزام بالأفكار التي قدمها الكاتب لا أتجاوزها بحال.

هذا فيما يخص الأفكار و طرحها، أما بالنسبة للتقنية و الآلية المتبعة في طرح الأفكار ، فقد اعتمدت في ترتيب العناوين على الأرقام والحروف، أرتبها حسب ترتيبها منطقيا.

أما بالنسبة للتوثيق، كنت إذا اقتطعت فكرة أو فقرة من كتاب أو مرجع ، أذكر الكاتب، إسمه الذي عرف به، ثم لقبه الكامل، و أذكر بعدها اسم المصدر المرجع المعول عليه، ثم أذكر الطبعة إن وجدت، وبعدها اسم المحقق إن وجد، ثم نحيلها إلى دار النشر ومكان النشر ثم سنة النشر، و أخيرا الجزء و الصفحة، نفصل بينهم بفاصلة و نختم بنقطة. أما إذا

كان النص مقتطعا من مواقع الأنترنت بمختلف محركاته، فإننا ننسخ الموقع كما ورد في بطاقة البحث.

لقد كان الأساس المتين لهذا العمل هو القرآن الكريم باعتبار أن الموضوع يخص الإعجاز في القرآن وبعده مباشرة كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي لأن البحث يرتكز عليه و لأن البحث يخص الإعجاز في القرآن من خلال كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي كما وسبق القول، كما اعتمدنا على المعاجم اللغوية في شرح بعض المصطلحات، ومعاجم الأعلام و الشخصيات، و بعض المقالات من المجلات المنزلة على منصة الأنترنت، فمن ينظر إلى العمل يدرك أن كم المصادر و المراجع محتشم لأن البحث أساسا يرتكز على كتابين اثنين أساسيين هما القرآن الكريم و كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي.

مع الأسف،كان العمل محتشم ليس بالمستوى المطلوب، وبذلك فأنا أقر بتقصيري حيال هذا الموضوع المهم، كما أنني أتأسف فأنا لم أعطي أستاذنا المشرف حقه، فهو حقيقة أيقونة في العلم ومنارة للبحث ومنبعا للفكر، فقد كان مرشدا وناصحا. فإن كان بالبحث من نقص أو خلل فهو وليد ضعفي ونتاج تقصيري.

الفصل التمهيدي

الإطار العام للدراسة

أولا: تقديم كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي

ثانيا: التعريف بمالك بن نبي

ثالثا: الإعجاز في القرآن تاريخه ووجوهه

أولا– تقديم كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي:[1]

كتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، كتاب يعبر في فحواه عن ثقافة وفكر كاتبه، ويعكس من خلال سطوره الفترة الزمنية التي عايشها مالك بن نبي والمستوى الثقافي الذي تأثر به. إن مالك بن نبي وليد ثقافة تقليدية دينية متمسكة بالمبادىء الإسلامية والأصالة العربية العريقة، وهي عوامل دفعت هذا االأخير إلى أن يرفض الأفكار الإستشراقية المحرفة للدين والمغرضة للإسلام ولشخص النبي صلى الله عليه وسلم، ومن خلال قلمه خط سطور كتابه ليعبر عن رفضه للثقافة الجديدة وركز من خلال هذه السطور على أمرين أساسيين هما:

الأمر الأول: صدق النبي وصدق الرسالة التي جاء بها.

الأمر الثاني: إعجاز الوحي واستقلاله عن شخص النبي ﷺ.

ومن خلال هذين الموضوعين المحوريين أكد مالك بن نبي عجز البشرية على أن يأتوا بمثل القرآن، كما تمكن من الرد على القادحين والمشككين في هذه القوة الربانية التي وضعها الواحد الأحد بين دفتي هذا الكتاب المقدس. حيث حاول بطريقة مبسطة وأسلوب سهل يتناسب مع المستوى الثقافي السائد في وقته في أن يبلغ رسالة النبي ﷺ ومعجزة القرآن بعيدا عن التملق اللفظي وبلاغة اللغة وتعقيد كتب التفسير.

إن الذكاء الثقافي والفلسفة الإجتماعية التي يمتلكهما مالك بن نبي، آتته الوسيلة ليمتلك مفاتيح العقول ويفتح أبوابها ويتمكن من إقناعها من خلال فكرهم البسيط وثقافتهم اللغوية الضعيفة، بصدق النبي ﷺ وإعجاز الوحي.

[1] ينظر: https://www.eshraqatquraania.com/2019/10/Reading-in-the-book-phenomenon-Quranic.html ، نهضة الشريفي، 16 أكتوبر 2019.

وقد استهل مالك بن نبي دراسته للظاهرة القرآنية بمدخل فصل فيه محنة العقل الحديث في العالم الإسلامي، بين من خلاله افتتان العقل المسلم بالتقدم العلمي الذي أحرزه الغرب، ودور المستشرقين في التمهيد لهذا الإنبهار.

ويظن مالك بن نبي أن هذا الإشعاع كان من أعظم الأسباب وأبعدها خطراً في "العقل" الحديث، الذي يريد أن يدرك معجزة القرآن إدراكاً يرضى عنه ويطمئن إليه.

و جاء في الكتاب عن الإعجاز مايأتي :

الفصل الأول (الظاهرة الدينية): وفيها تم الحديث عن طبيعة الظاهرة الدينية، التي تحوي في فحواها حقيقة عجز البشرية في أن يأتو بمثل هذا القرآن، وكان الهدف من هذا الفصل المقارنة بين المذهب الغيبي الذي يعتبر الدين معجزة ربانية فوق قدرة و طبيعة الإنسان، ومكون أساس في بناء الحضارة، ومن جهة أخرى المذهب المادي الذي يعتبر الدين مجرد عارض تاريخي للثقافة الإنسانية.

الفصل الثاني (الحركة النبوية) : تحدث فيه المؤلف عن مبدأ النبوة وخصائص النبوة، وبيَّن من خلال هذا الفصل الطبيعة البشرية والنفسية لصدق النبوة عموماً.

الفصل الثالث (أصول إسلام): تحدث فيه مالك عن مصادر دين الإسلام، وبين في هذا الفصل نقطتين رئيستين:

الأولى: أن الإسلام هو الدين الوحيد بين جميع الأديان الذي ثبتت مصادره منذ البداية، على الأقل فيما يختص بالقرآن.

والثانية: أن القرآن من خلال تاريخه لم يتعرض لأدنى تحريف أو تبديل، وليست هذه حال العهدين القديم والجديد.

الفصل الرابع (الرسول): في هذا الفصل أوضح مالك بن نبي أنه لا يمكن الاستغناء في دراسة الظاهرة القرآنية عن معرفة الذات المحمدية، ومن هنا عكف على دراسة سيرة الرسول

صلى الله عليه وسلم وإبراز معجزاته التي خصه الله بها بدءاً بطفولته، ومروراً بزواجه بخديجة رضي الله عنها، ووصولاً إلى بعثته والوحي إليه.

الفصل الخامس (كيفية الوحي): سعى مالك في هذا الفصل إلى تمييز السمات الخاصة بمحمد ﷺ؛ لكي يتوصل من خلال ذلك إلى أن معجزة الوحي خارجة عن شخصه وأنها ليست من فكره، كما ذهب لذلك كثير من المستشرقين.

الفصل السادس (اقتناعه الشخصي): يحاول مالك من خلال هذا الفصل أن يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان بحاجة إلى التثبت من مقياسين يدعم بهما اقتناعه: مقياس ظاهري للتحقق من وقوع المعجزة، وهذا مقياس ذاتي محض يقتصر على ملاحظته وجود الوحي خارج الإطار الشخصي ومقياس عقلي لمناقشتها وهذا مقياس موضوعي يقوم على المقارنة الواقعية بين الوحي المنزل وما ورد من تفاصيل محددة في كتب اليهود والنصارى.

الفصل السابع (مقام الذات المحمدية في ظاهرة الوحي): ينطلق المؤلف في معالجته لمعجزة الوحي من منهج تحليلي، فيحلل خطاب جبريل للرسول ﷺ، بقوله: {إقرأ} (العلق:1)، وجوابه صلى الله عليه وسلم: (ما أنا بقارئ) . ويخلص المؤلف من معالجته لهذا الفصل أن ذات الوحي منفصلة تماما عن ذات النبوة؛ وبالتالي فثمة فصل قاطع بين الذات المحمدية والوحي القرآني.

الفصل الثامن (الرسالة): في هذا الفصل يدفع المؤلف قول الذين يريدون أن يفسروا الوحي وفق نظرية (اللاشعور) .

الفصل التاسع (الخصائص الظاهرية للوحي): هذا الفصل من أهم فصول الكتاب وأطولها وقد عالجه المؤلف وفق العناوين التالية: (التنجيم، الوحدة الكمية، مثال على الوحدة التشريعية مثال على الوحدة التاريخية، الصورة الأدبية للقرآن، مضمون الرسالة، العلاقة بين القرآن والكتاب المقدس، ما وراء الطبيعة، أخرويات، كونيات، أخلاق، اجتماع، تاريخ الوحدانية).

الفصل العاشر (موضوعات ومواقف قرآنية): هذا الفصل خصصه مالك لبحث ما يميز القرآن عن عبقرية الإنسان، وتضمن العناوين التالية: (إرهاص القرآن، ما لا مجال للعقل فيه، فواتح السور، المناقضات، الموافقات، المجاز القرآني، القيمة الإجتماعية لأفكار القرآن). ومن أهم الأفكار التي قررها مالك في هذا الفصل، أن الدين في ضوء القرآن يبدو معجزة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها.

ثانيا- تعريف مالك بن نبـــــي :

- 1- حياته و فكـــــره:

هو مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي[1] اسمه الذي ولد به الصديق[2]. ولد سنة (1905م/1325هـ) بمدينة قسنطينة[3]. من أسرة محافظة .

ولد مالك بن نبي في مدينة قسنطينة، وقد تعهد بكفالته عمه الأكبر منذ ولادته إلى أن بلغ من العمر الستة سنوات تقريبا[4]، بقي مالك بكفالة عمه وزوجته إلى أن توفي عمه ثم انتقل إلى تبسة[5]. كانت دراسة مالك بن نبي مزيجا بين حفظ القرآن و تعلم اللغة العربية في الزوايا و المساجد بالإضافة إلى التعلم في المدارس الفرنسية. تمكن مالك بن نبي من النجاح في

---

[1] -عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي ...حياته وفكره، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2012م. ص: 51.

[2] -مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن- الطفل-، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1413هـ- 1993م، ص:58.

[3]- نجد مالك بن نبي ولد في الأول من يناير من سنة خمس وتسع مئة وألف في مختلف التعاريف الموجودة على منصة Google...أما في كتاب: مالك بن نبي فكره ووفاته، لعبد الله بن حمد، فنجده يوثقه على أنه ولد في الرابع والعشرين من كانون الثاني/يناير من سنة خمس وتسع مئة وألف الموافق للسادس من ذي القعدة ثلاث وعشرين وثلاث مئة وألف.ص: 51، ...وفي مذكرات شاهد للقرن لم يذكر سوى السنة التي ولد فيها 1905، ص: 15.

[4]- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن ، ص: 56.

[5]- المصدر نفسه، ص: 59.

الشهادة الإبتدائية بتفوق، والتحق بالدراسات التكميلية في مدرسة –سيدي الجلي– بقسنطينة[1].
تخرج مالك من المدرسة التكميلية في جوان 1925م.
سافر بن نبي إلى فرنسا بغية العمل لكنه عاد من هذا الأفق بخفي حنين[2].اشتغل مساعدا متطوعا في المحكمة بتبسة[3]. وفي شهر آذار (مارس) من عام 1927م عين كعدل بمدينة –آفلو–[4]. وفي سنة 1928م نقل بطلب منه إلى –شاتودان– [5] و بعدها بفترة استقال من منصبه.
في أيلول (سبتمبر) سنة 1930 عاد إلى فرنسا للدراسته[6]، إذ حاول الدراسة في معهد الدراسات الشرقية لكنه لم يوفق لذلك فانتسب إلى مدرسة اللاسلكي.
انغمس مالك بن نبي في الدراسة وفي الحياة الفكرية، ثم شرع يؤلف الكتب في قضايا العالم الإسلامي، فأصدر العديد من الكتب التي تخدم الأمة و تترجم أفكاره و انشعالاته[7].
عاد مالك بن نبي في 1963 للجزائر بعد إستقلالها، فعُيِّن سنة 1964 مدير عام للتعليم العالي، فقام بالمتابعة مع إلقاء المحاضرات والتأليف، فصدر له(آفاق جزائرية Perspectives algérienne) وكذلك الجزء الأول من مذكراته[8]. استقال من منصبه سنة 1967، ليتفرغ كلياً للعمل الفكري الإسلامي والتوجيهي.توفي مالك بن نبي في الجزائر في 31أكتوبر 1973م.

[1]– مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن ، ص: 137.
[2]– المصدر السابق، ص: 156.
[3]– المصدر نفسه، ص: 161.
[4]– المصدر نفسه، ص: 171.
[5]– المصدر نفسه، ص: 161.
[6]– المصدر نفسه، ص: 203.
[7] – مالك بن نبي، شروط النهضة، نسخة محفوظة 19 يونيو 2018 على موقع واي باك مشين.

ألفت له العديد من الكتب عن حياته وفكره، خاصة من قبل المهتمين بالنهضة والإصلاح، من أهمها: (في صحبة مالك بن نبي) و(مقاربات حول فكر مالك بن نبي) اللذان كتبهما عمر كامل مسقاوي، تلميذه الذي ترجم بعض أعماله إلى العربية.

2- أهم مؤلفات مالك بن نبي:

له مجموعة من المؤلفات بلغت 150 مؤلف من أبرزها:

- الظاهرة القرآنية
- مذكرات مالك بن نبي
- (العفن) - ج 1
- شروط النهضة
- من أجل التغيير
- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة
- فكرة كومونولث الإسلامي في مهب المعركة
- ملخص كتاب مشكلة الأفكار فى العالم الإسلامي
- مشكلة الثقافة

الناشرون: دار الفكر للطباعة والنشر، دار الفكر، دار الفكر المعاصر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية قطر

ثالثا- الإعجـاز في القرآن :

1- مفهوم الإعجاز:[1]

1-أ- لغة:

الإعجاز في اللغة هو الفوتُ والسَّبْقُ. يقال أعجزني فلانٌ، أي: فاتَنِي وعَجزت عن طلبه وإدراكه، والعَجْزُ هو الضَّعفُ[2].

وعرف العلماء المعجزة بقولهم: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدّي سالم من المعارضة يظهره الله على يد رسله[3].

والعجز في التعاريف: اسم للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، قال تعالى: ﴿ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي﴾(المائدة 31).

III-1-ب-الاصطلاح:

المعجزة في الاصطلاح: هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي السالم عن المعارضة. والمراد بالإعجاز هنا: هو إظهار صدق الرسول ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب بل الناس جميعاً عن معارضته في معجزته الخالدة -وهي القرآن الكريم- وعجز الأجيال من بعدهم إلى قيام الساعة.

فالقرآن الكريم قد جاء يحاج العقل البشري ويتحداه إلى الأبد بعلومه ومعارفه وأسلوبه وبلاغته وأخباره الماضية والمستقبلة، وهذا بخلاف معجزات الأنبياء السابقين وعلامات صدقهم، فإنها كانت محسوسة مشاهدة، وكانت من جنس ما اشتهر به أقوامهم.

---

[1]- الموسوعة القرآنية المتخصصة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،، دط، دت، مصر، 2002م. ج1، ص662.

[2]- الأزهري (محمد بن أحمد) ،تهذيب اللغة ، ط1، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001، ج1، ص340.

[3]- السيوطي (عبد الرحمان بن ابي بكر)،الإتقان في علوم القرآن، دط، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج4، ص3.

وهذا ما أشار إليه الرسول ﷺ في قوله: "ما من الأنبياء إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أنْ أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"[1].

1- جـ -الإعجاز في القرآن عند مالك بن نبي:

مفهوم الإعجاز عند مالك بن نبي يرتكز عل حدود ثلاثة وهي: اللغة والاصطلاح والتاريخ فيقول:" أهل اللغة يرون أن الإعجاز هو الإيقاع في العجز، وأهل الاصطلاح يرون الإعجاز هو الحجة التي يقدمها القرآن إلى خصومهم من المشركين ليعجزهم بها، فأما حين نريد تحديد هذا المصطلح في حدود التاريخ ... فلابد من مراجعة القضية في ضوء تاريخ الأديان[2]."

ونراه هنا قد انفرد بهذه الخصائص عن ما سواه من المفكرين بإضافة الحدود التاريخية وعامل الزمن الذي يمثل الفرق الزمني بين دين وآخر في ضبط مفهوم المعجزة.

وأمثلته في القرآن كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا 16 وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا 17 ﴾ [الإسراء: 16-17].

وقوله عزّ من قائل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ 13 ﴾ [هود: 13]،

وقوله ﷻ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ 23 ﴾ [البقرة: 23] .

---

[1]- محمد بن ابراهيم التويجري، صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل - دط، دت، المكتبة الإسلامية - استانبول. ج6، ص97.

[2] - مالك بن نبي (بن الحاج عمر بن الخضر)، الظاهرة القرآنية، ترجمة: الشيخ عبد الله دراز، تقديم: تحقيق و اشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سورية، 2000م، ص: 21.

فهذه الآيات شاهد على عجز المخلوقات على أن يأتوا بمثل القرآن ولو اجتمع لها جميع المخلوقات وهي توجهنا حسب مالك بن نبي إلى معنيين اثنين:

- بالنسبة إلى شخص الرسول: الحجة التي يقدمها لخصومه ليعجزهم بها.
- بالنسبة إلى الدين: وسيلة من وسائل تبليغه.

وهذان المعنيان للإعجاز يتوقفان على الشروط الآتية :

- أن الإعجاز بوصفه (حجة) لا بد أن يكون في مستوى إدراك الجميع وإلا فاتت فائدته إذ لا قيمة منطقية لحجة تكون فوق إدراك الخصم، فهو ينكرها عن حسن نية أحيانا.
- ومن حيث كونه وسيلة لتبليغ دين، أن يكون فوق طاقة الجميع .
- ومن حيث الزمن، أن يكون تأثيره بقدر ما في تبليغ الدين من حاجة إليه، وهذه الصفة الثالثة تحدد نوع صلته بالدين، الصلة التي تختلف من دين لآخر، باختلاف ضرورات التبليغ.

وكانت قصة سيدنا موسى –عليه السلام– أبلغ ما يمكن سرده لإثبات هذه الشروط، فلو أمعنّا النظر لرأينا أن سيدنا موسى قد عني بمعجزتين هما: العصى التي تتحول ثعبان، وبياض اليد، فإذا ما سلمنا بأنهما حجة للنبي على صدقه نجدهما تتصفان بـ:

- ليستا من مستوى العلم الفرعوني الذي كان من اختصاص أشخاص معدودين يكونون هيئة الكهنوت، بل كانت المعجزة فيهما من صور السحر الذي يقع أثره في إدراك الجميع عن طريق المعاينة الحسية دون إجهاد فكر.
- هاتان المعجزتان تتصلان بتاريخ الدين الموسوي لا بجوهره، إذ ليس لليد أو العصى صلة بمعنى هذا الدين ولا بتشريعه، فهما على هذا مجرد توابع للدين، لا من صفاته اللازمة له.
- ودلالة هاتين المعجزتين على صحة الدين محدودة بزمن معين، إذ لا نتصور مفعول اليد والعصى (حجة) إلا في الجيل الذي شهدهما أو الجيل الذي بلغته تلك الشهادة بالتواتر

من التابعين؛ أي أن مفعوله لا يكون إلا في زمن محدد لحكمة أرادها الله، ولو فكرنا في هذه الحكمة لوجدنا أنها تتفق مع حقائق نفسية وحقائق تاريخية سجلها الواقع فعلا.

-2- التطور التاريخي لاستخدام المصطلح:

-2- أ- إعجاز القرآن في عصر النبوة:[1]

لم يكن مصطلح (الإعجاز) قد تميز في عصر النبوة، وإن كان معناه قائما معروفا، وكانت كلمة (آية) وجمعها (آيات) تعبر عن معنى كلمة (معجزة) وجمعها (معجزات)، فقد روى البخاري- رحمه الله- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من الأنبياء نبيّ إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»[2].

قال ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)[3]: «أي أن معجزتي التي تحدّيت بها [هي] الوحي الذي أنزل عليّ، وهو القرآن، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح»[1].

وجاء في القرآن ما يؤكد أن أكبر معجزاته صلى الله عليه وسلم هو القرآن، قال الله تعالى: "وَقالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آياتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ 50 أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرى لِقَوْمٍ يومنون 51 "[العنكبوت 50- 51].

---

[1]- غانم قدورى، محاضرات في علوم القرآن، ط1، دت، دار عمان، عمان،دج، ص(237- 247).

[2]- ابن حجر العسقلاني(احمد بن علي)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دط، دت، دار المعرفة، بيروت 1379هـ، ج9، ص3.

[3] - ابْن حجر الْعَسْقَلَانِي هُوَ أَحْمد بن عَليّ ابْن مُحَمَّد بن عَليّ بن أَحْمد الْكِنَانِي، الْعَسْقَلَانِي، ولد بِمصْر سنة 773 هـ، وَطلب علم الحَدِيث من سنة 794 هـ، فَسمع الْكثير، شَيْخه أَبَا الْفضل الْعِرَاقِيّ، وَابْنه زين الدَّين الْعِرَاقِيّ، وَمن تلاميذه: شيخ الْإِسْلَام زَكَرِيَّا بن مُحَمَّد الْأنْصَارِيّ خَاتِمَة الْمُحدثين، وشمس الدَّين السخاوي الإمَام وآخرون.

-2- ب- إعجاز القرآن في المؤلفات القديمة:

إن اتساع المعارف وتنوع الثقافات الذي حدث بعد الفتوحات الإسلامية و اختلاط الألسن العربية بالأعجمية و بخاصة في صدر الدولة العباسية قد أثار جدلا حول عدد من أمور العقيدة، حيث نشأ جيل من الناس قصرت بهم معارفهم عن فهم الإعجاز أو إدراك حقيقته، الأمر الذي هم علماء الأمة ، فعكفوا على دراسته ، وكتبوا فيه عددا من الرسائل والمدونات، تبحث في سر الإعجاز، والسعي إلى بيان أوجوهه وتوضيحها، و سوف نقتصر على عرض المعالم البارزة فيها.

1 – يكاد الدارسون يتفقون على أن الجاحظ (أبا عثمان عمر بن بحر، ت 255 هـ)[2] هو أول من درس موضوع الإعجاز في كتاب مستقل، فقد ألف كتاب (نظم القرآن) [3]، ويبدو أن الجاحظ يذهب إلى أن إعجاز القرآن كائن في نظمه وتأليفه، وهو يرد في ذلك على شيخه إبراهيم بن سيّار النظّام (ت 224 هـ)[4]، الذي زعم أن إعجاز القرآن كائن في أن الله تعالى صرف العرب عن معارضته، ولولا ذلك لكان في مقدورهم الإتيان بمثله، وسمّي هذا المذهب بالصّرفة، وهو قول أنكره جمهور علماء الأمة وردوه[5].

---

[1]– ابن حجر، فتح الباري،ج9، ص6.

[2]– الجَاحِظ هو: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي البصري، أبو عثمان المعروف بالجاحظ، صاحب التصانيف في كل فَنٍ، وإليه تنتسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، وكان تلميذ النَّظام المتكلم المشهور، ومن أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب " الحيوان " فلقد جمع كل غريبة، وكذلك كتاب " البيان والتبيين " وغيرها من الكتب، وهي كثيرة جداً، قال ثعلب: ما هو بثقة. وقد مات بالبصرة سنة خمسين ومائتين، وقيل: سنة خمس وخمسين ومائتين للهجرة. [انْظُرْ تَرْجَمَتَهُ: وفيات الأعيان، ج3، ص470.

[3]– الباقلاني، كتابه إعجاز القرآن، دط، دت، دار المعارف، مصر، دج، ص 6 .

[4]– النظام (ابراهيمبن إسحاق) ولد مابين(160هـ– 185هـ) تتلمذ في الاعتزال على يد ابي الهذيل العلاف، ثم انفرد عنه وكون له مذهبا خاصا(النظامية) وكان أستاذ الجاحظ، توفي في بغداد و اختلف في زمن وفاته، مابين (221هـ – 229هـ) كان من كبار المتكلمين و أكابر شيوخ و علماء المعتزلة.

[5] – الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب)،إعجاز القرآن ، تحقيق سيد أحمد صقر، ط5، دار المعارف، مصر، 1997م، دج ص 29.

2 – ومن أقدم الكتب التي عالجت الموضوع كتاب (بيان إعجاز القرآن) للخطابي (ت 388 هـ) الذي استهله بقوله: «قد أكثر الناس الكلام في هذا الباب قديما وحديثا، وذهبوا فيه كل مذهب من القول»[1].

ثم عرض الخطابي ثلاثة من تلك المذاهب، ولم يوافق القائلين بها، وهي [2]:

– ذهب قوم إلى أن العلة في إعجازه الصرفة.

– وزعمت طائفة أن إعجازه إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان، وهو يقول: ولا يشكّ في أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزة بنفسها.

– وزعم آخرون أن إعجازه من جهة بلاغته، وهم الأكثرون من علماء أهل النظم، لكنه يأخذ عليهم أنهم إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة لم يتمكنوا من وصفها وقالوا: إن ذلك شيء لا يمكن تصويره وأنه يظهر أثره في النفس حتى لا يلتبس على ذوي العلم والمعرفة به.

ويلخص الخطابي بعد ذلك رأيه في إعجاز القرآن بقوله: «واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمّنا أصح المعاني» والتفة الخطابي إلى الأثر الذي يتركه سماع القرآن الكريم في النفس، وجعله أحد وجوه الإعجاز[3].

3 – ألّف أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت 386 هـ)[4] كتابه (النكت في إعجاز القرآن)، وقال في أوله: «وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات:

---

[1] الخطابى(أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم البستى). بيان اعجاز القرآن، دط، دت، دار المعارف، ج4، (ص 334-ص336).

[2]– الخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم)، بيان إعجاز القرآن ، ص 422 ، وص424.

[3]– المصدر نفسه ، ص 70.

[4]– الرماني(أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله) (296هـ/909م – 384هـ/994م) هو مُفَسِّر وفيلسوف معتزلي، ومن كبار النحاة، كان مُتَبَحِّراً في علوم الفقه واللغة والكلام والفلك، ألَّف ما يقارب مائة كتابٍ. عاصر أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي. له الجامع في القرآن. وقيل في أسلوبه كان يمزج النحو بالمنطق. كان من تلاميذه أبو حيان التوحيدي. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ط5، دت، دار العلم للملايين – بيروت، 2002، المجلد السادس، ص317.

ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصّرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة»[1].

ثم بيّن تلك الوجوه، وفصّل القول في البلاغة وأقسامها، حتى أخذ ذلك معظم الكتاب[2].

4 – وتحدّث أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت 403 هـ)[3] عن وجوه الإعجاز في كتابه (إعجاز القرآن)، وذكرها ملخصة في كتابه (الانتصار لنقل القرآن)، وهي عنده ثلاثة.

أحدها: ما تضمنه من الإخبار عن الغيوب، وما يحدث وما يكون، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه.

والوجه الثاني: ما تضمنه من قصص الأولين وأخبار الماضين التي لا يعرفها إلا من أكثر ملاقاة الأمم، ودراسة الكتب، مع العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أميّا.

والوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه [4].

5 – وممن اعتنى بإعجاز القرآن أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني[5](ت 471 هـ)، وكتب في ذلك الرسالة الشافية التي ضمنها جملا من «القول في بيان عجز العرب

---

[1] الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى بن علي)، النكت في اعجاز القرآن، ط3، دت، دار المعارف، مصر، 1976م، ص75.

[2] الباقلاني، نكت الانتصار لنقل القرآن، دط، دت، منشاة المعارف، الإسكندرية، 1971م، (ص 75 –ص)109. وبقية الوجوه (ص 109 – ص111)

[3] – الجُرْجَانِيّ هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (400 – 471هـ/1009– 1078م) نحوي ومتكلم، وُلِد في جرجان لأسرةٍ فقيرة الحال، ويُعد مؤسس علم البلاغة، وُلِدَ في جرجان وعاش فيها دون أن ينتقل إلى غيرها حتى توفي سنة 471 هـ. أخذ العلم عن أبي الحسين محمد الفارسي ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي كما أخذ الأدب على يد القاضي الجرجاني وقرأ كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه.ينظر: عَبْد القَاهِر الجُرْجَاني – موسوعة الأعلام، خير الدين الزركلي، 1980 نسخة محفوظة 26 يناير 2020 على موقع واي باك مشين.

[4]–الباقلاني، إعجاز القرآن،(ص 33– ص35)، ونكت الانتصار (ص 58 – ص 242).

[5] – الجُرْجَانِيّ هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (400 – 471هـ/1009– 1078م) نحوي ومتكلم، وُلِد في جرجان ، ويُعد مؤسس علم البلاغة. هو فارسي الأصل ، وُلِدَ في جرجان وعاش فيها دون أن ينتقل إلى غيرها حتى توفي سنة 471 هـ. أخذ العلم عن أبي الحسين محمد الفارسي ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي كما أخذ الأدب على يد

حين تحدّوا إلى معارضة القرآن، وإذعانهم وعلمهم أن الذي سمعوه فائت للقوى البشرية، ومتجاوز للذي يتسع له ذرع المخلوقين ... »[1].

وهذه الرسالة كتبها عبد القاهر ليثبت حقيقة الإعجاز لا ليبين أسراره، أما تفصيل القول في أسرار الإعجاز فقد جاء كثير من ذلك في كتابه (دلائل الإعجاز).

وتتلخص فكرته في قوله: «فإذا بطل أن يكون الوصف الذي أعجزهم من القرآن في شيء مما عدّدناه، لم يبق إلا أن يكون في النظم... وكنا قد قلنا أن ليس النظم شيئا غير توخّي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم»[2].

6 – وبحث القاضي عياض بن موسى (ت 544 هـ)[3] الإعجاز في كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) وحدّد وجوه الإعجاز الرئيسية في أربعة هي:

أولها: حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته، وبلاغته الخارقة عادة العرب.

والثاني: صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب. وكلا هذين الوجهين يرجع إلى الناحية البيانية في القرآن[1].

والثالث: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يقع، فوجد كما ورد، على الوجه الذي أخبر.

والرابع: ما أنبأ من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة[2].

القاضي الجرجاني وقرأ كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه.ينظر: عَبْد القَاهِر الجُرْجَاني – موسوعة الأعلام، تحقيق خير الدين الزركلي، 1980 نسخة محفوظة 26 يناير 2020 على موقع واي باك مشين

[1]– الشافعي (محمد بن ادريس)، الرسالة الشافية، ط1، دت، الناشر مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، 1938م، ص 117.

[2]– الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان)، دلائل الإعجاز،ط3، دت، دار المدني ، جدة1992م، ص391.

[3]– أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي (476 هـ – 544 هـ / 1083م – 1149م). قاض مالكي. كان من بين الناس العارفين بعلوم عصره. له مصنفات كثيرة، يصفها ابن خلكان في وفيات الأعيان: «كل تواليفه بديعة»، قتل القاضي عياض في مراكش ودفن بها سنة 544 هـ.ينظر: تاريخ النشر: 17 سبتمبر 2012 — https://libris.kb.se/katalogisering/64jlhl2q0djxqtq — تاريخ الاطلاع: 24 سبتمبر 2018.

وأضاف إليها القاضي عياض وجوها أخرى، أهمها[3]:

أ- ما ورد من تعجيز قوم في قضايا، فما فعلوا.

ب- الروعة التي تلحق قلوب سامعيه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته.

ج- كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، مع تكفل الله تعالى بحفظه.

د- أن قارئه لا يمله، وسامعه لا يمجه.

هـ- جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة معرفتها ولا القيام بها.

7 – وذهب علم الدين علي بن محمد السخاوي (ت 643 هـ)[4] إلى أن إعجاز القرآن في أنه خارج في بديع نظمه وغرابة أساليبه عن معهود كلام البشر، مختص بنمط غريب لا يشبه شيئا من القول في الرصف والترتيب، لا هو من قبيل الشعر، ولا من ضروب الخطب والسجع، يعلم من تأمله أنه خارج عن المألوف، مباين للمعروف، متناسب في البلاغة، متشابه في البراعة، بريء من التكلف، منزّه عن التصنع والتعسف.

أما ما تضمنه القرآن العزيز من الإخبار عن المغيّب، وما أتى به من أخبار القرون الماضية والأمم الخالية، وبما كان من أول خلق الأرض والسماء إلى انقضاء الدنيا، فذلك- في رأي علم الدين السخاوي- ليس مما تحداهم به، ولكنه دليل على صدق الرسول ﷺ[5].

8 – وجعل أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت 684 هـ)[1] وجوه إعجاز القرآن

---

[1]- أبو زهرة(محمد بن احمد بن مصطفى)، المعجزة الكبرى القرآن ، دط، دت، دار الفكر العربي. ص87.

[2]- السيوطي، الشفا ج1، ص491 و 511 و 522، وينظر: السيوطي: الإتقان ج4، ص116.

[3]- السيوطي،الشفا،ج1، ص526 و 529 و 533 و 535 و 536.

[4]- السخاوي، هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب الهمدانى المصري السخاوي المقرئ النحوي الملقب علم الدين. ولد بسَخا سنة ثمان وخمسين وخمسمائة (558هـ). كان قد اشتغل بالقاهرة على الشيخ أبي محمد القاسم الشاطبي المقرئ، وأتقن عليه علم القراءات، والنحو، واللغة.. وشرح «المفصل» للزمخشري في أربع مجلدات، وشرح القصيدة الشاطبية في القراءات، وكان قد قرأها على ناظمها، وله خُطَب وأشعار، وكان متعينًا في وقته. ولم يزل مواظبًا على وظيفته. ينظر: - Disambig gray RTL.svg هذه المقالة عن العلم السخاوي.

[5]- السخاوي (علم الدين علي بن احمد)،جمال القراء، دط، دت، القاهرة 1987م، ج1، ص44.

عشرة، منها ما يتعلق بنظمه وتأليفه، ومنها ما يتعلق بمعانيه وأحكامه، مما لا يخرج أكثره عن الوجوه التي ذكرها العلماء قبله[2].

9 – وذكر بدر الدين الزركشي (ت 794 هـ)[3] اثني عشر وجها من وجوه الإعجاز، هي تلخيص لجهود سابقيه [4].

10 – وجمع جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)[5] جهود السابقين له في موضوع الإعجاز في باب من أبواب كتابه الكبير (الإتقان في علوم القرآن)[6]. كما أنه ألّف كتابا في الموضوع سماه (معترك الإقران في إعجاز القرآن) في ثلاثة أجزاء كبيرة، وذكر فيه أن بعض العلماء أنهى وجوه إعجازه إلى ثمانين وجها [7]. وبلغ ما ذكره هو خمسة وثلاثين وجها، استغرق الوجه الأخير أكثر من ثلثي الكتاب، وهو في (ألفاظ القرآن المشتركة [8].

---

[1]– القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح كنيته أبو عبد الله ولد بقرطبة ب (الأندلس) حيث تعلم القرآن الكريم وقواعد اللغة العربية وتوسع بدراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن وغيرها كما تعلم الشعر أيضاً. انتقل إلى مصر واستقر بمنية بني خصيب (المنيا) حتى وافته المنية في 9 شوال 671 هـ، وهو يعتبر من كبار المفسرين وكان فقيهًا ومحدثًا ورعًا وزاهدًا متعبدًا. ذكر المؤرخون للقرطبي عدة مؤلفات: «الجامع لأحكام القرآن» هو كتاب جمع تفسير القرآن كاملاً. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ،التذكار في أفضل الأذكار ينظر: المؤلف: المكتبة الوطنية الفرنسية — العنوان : BnF catalogue général — الناشر: المكتبة الوطنية الفرنسية — وصلة : مُعرِّف المكتبة الوطنيَّة الفرنسيَّة (BnF)

[2] –القرطبي (أبو عبد الله محمد بن احمد)، الجامع لأحكام القرآن، ط2، دت، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م. ج1، ص74.

[3] –هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين، وتوفي بمصر سنة أربع وتسعين وسبعمائة. انظر "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" للسيوطي ج1، ص 437 .

[4]– الزركشي، البرهان، ج2، ص106.

[5] – السيوطي هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري المشهور باسم جلال الدين السيوطي، (القاهرة 849 هـ/1445م – القاهرة 911 هـ/1505م) إمام حافظ، ومفسر، ومؤرخ، وأديب، وفقيه شافعي. له نحو 600 مصنف. نشأ في القاهرة يتيماً؛ ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، ، فألف أكثر كتبه. الناشر :ينظر: وكالة الفهرسة للتعليم العالي — Identifiants et Référentiels — تاريخ الاطلاع: 2 ماي2020 .

[6]– السيوطي، الإتقان ج4، ص 3 و23.

[7] –السيوطي، معترك الأقران ، ط2، القاهرة، 1972م،ج1، ص3.

[8]– المصدر نفسه ج1، ص 514.

وكثير مما ذكره السيوطي لا يدخل في موضوع الإعجاز، وأشار هو نفسه إلى ذلك بقوله: «وإن كانت بعض الأوجه لا تعدّ من إعجازه، فإنما ذكرتها للإطلاع على بعض معانيه، فيثلج له صدرك، وتبتهج نفسك» [1].

-2- جـ- إعجاز القرآن في العصر الحديث:

لم يكن الدارسون المحدثون أقلّ عناية ببحث وجوه إعجاز القرآن الكريم من السابقين، بل إن العصر الحديث أظهر معطيات جديدة للإعجاز، وأثار نقاشات وسّعت مفهوم الإعجاز وعمقت من دلالاته، وتنوعت مناهج المحدثين في تناول موضوعه، وتباينت مواقفهم منه، وكثرت البحوث والمؤلفات فيه، ويمكن أن نشير إلى الاتجاهات البارزة لديهم في معالجة الموضوع، دون الخوض في تفصيلاته، وهي:

- **دعاة الإعجاز البياني:** مصطفى صادق الرفاعي[2]، عبد الله دراز[3]، أميـن الخولي[4]،عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ[1]، فاضل السامرائي... وغيرهم.

---

[1] السيوطي، معترك الأقران ،ج1، ص 12.

[2] مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي العمري (1298 هـ- 1356 هـ الموافق 1 يناير 1880 - 10 مايو 1937 م) ولد ببيت جده لأمه في قرية بهتيم بمحافظة القليوبية، وعاش حياته في طنطا. ينتمي إلى مدرسة المحافظين وهي مدرسة شعرية تابعة للشعر الكلاسيكي لقب بمعجزة الأدب العربي. انظر: مصطفى- صادق- الرافعي. https: //ar.wikipedia.org/wiki/

[3] هو الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن حسنين دِراز، وُلد بمحلة دياي، بمركز دسوق، التّابع لمحافظة كفر الشيخ، على الفرع الغربيّ للنيل، في 12 يناير سنة، تلقّى العلم في الأزهر الشريف، على يد كوكبة من العلماء، منهم الشيخ محمد عبده في التّفسير، والشيخ سليم البشري في الحديث، وغيرهم كثير، كان للشيخ نشاط علميٌّ كبير، من خلال الدروس العلميّة التي كان يحرص على إقامتها في المعاهد التي عمل بها، كما قام بتأليف عددٍ كبيرٍ من المقرّرات الدراسية الشّرعيّة. انظر: https: //ar.wikipedia.org/wiki/عبد- الله- دراز.

[4] من أعضاء المجمع اللغوي بمصر. ولد في قرية شوشاي بالمنوفية سنة 1313 / 1895، وتعلم بالازهر وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي، وعين للشؤون الدينية في السفارة المصرية برومة فاحدث ازمة حملت حكومة إيطاليا على طلب نقله، فنقل إلى برلين، واثار ازمة أخرى، فدعته حكومته إلى مصر، وعين أستاذا بالجامعة المصرية القديمة، ثم كان وكيلا لكية الآداب إلى سنة 1953م، فمديرا للثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم((وبها أحيل إلى المعاش. مثل مصر في عدة مؤتمرات. وتوفي بالقاهرة سنة 1385هـ- 1966 م رحمه الله تعالى، وله عدة كتب، ينظر: " الاعلام": ج2، ص 16.

- **دعاة الإعجاز العلمي:** عبد الله فكري، علي فكري، عبد الرزاق نوفل، طنطاوي جوهري ...وغيرهم.

منهم من طرق أبوابا أخرى مثل: الرافعي[2]، سيد قطب[3]، مالك بن نبي، هذا الأخير الذي نحن بصدد دراسته.

3- أوجه الإعجاز في القرآن:[4]

تباينت أقوال العلماء في تحديد وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، فمنهم من أوصلها إلى عشرة وجوه، ومنهم من نيف على ذلك، ومنهم من جعل وجوه الإعجاز وجها واحدا ونافح عنه وأورد الاعتراضات على سواه. ومن يتتبّع هذه الوجوه التي ذكرها العلماء قديما وحديثا يجد كثيرا منها تتداخل أو تتشابه ويمكنه بعد الاستقراء والتحقق أن يجمع بين كثير منها. لذا يمكن أن نجمع التقوال جميعا في أربعة وجوه وهي:

أ- الإعجاز البياني.

ب- الإعجاز العلمي (التجريبي).

ج - الإعجاز التشريعي.

د - الإعجاز الغيبي

---

[1] عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ ولدت سنة(1331 هـ / 6 نوفمبر، 1913 - 1419 هـ / 1 ديسمبر، 1998)، مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية وباحثة، وهي أول امرأة تحاضر بالأزهر الشريف، ومن أوليات من اشتغلن بالصحافة في مصر وبالخصوص في جريدة الأهرام، وهي أول امرأة عربية تنال جائزة الملك فيصل في الآداب والدراسات الإسلامية. ينظر: https: //ar.wikipedia.org/wiki/عائشة- عبد- الرحمن.

[2] مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد الرافعي. عالم بالأدب. من كبار الكتاب، وشاعر. أصله من طرابلس الشام. ومولده في بهتيم بمصر سنة 1298م. وشعره فيه جفاف، ونثره من الطراز الأول. توفي في طنطا سنة 1324هـ. رحمه الله تعالى، ينظر: " الاعلام"، ج7، ص 235.

[3] هو سيد بن قطب ابن إبراهيم. مفكر إسلامي مصري. ولد في اسيوط سنة 1324هـ، وتخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة 1353م، وعمل في جريدة الاهرام، وكتب في بعض المجلات الادبي، وعين مدرسا للعربية، ثم تنقل في الوضائف الحكومية، انظم الى الاخوان المسلمين سنة 1353، سجن فعكف على تاليف صفوة كتبه في السجن، واعدم بعد ذلك سنة 1387. ينظر: "الاعلام": ج3، ص147و 148.

[4]- مصطفى مسلم، «مباحث في إعجاز القرآن»، ط3، دت، دار القلم ، دمشق، سورية(2005م) ، ص113.

-3- أ- الإعجاز البياني:

يمكن حصر الإعجاز البياني في نقاط ثلاث:

1- البلاغة: من صور البلاغة في القرآن الكريم استخدامه كلمتي (زوجة –وامرأة) في قصة سيدنا زكريا عندما خاطبه ربه مبشراً إياه بالولد استخدم كلمة (امرأة) قال تعالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا 8 ﴾ [مريم: 8]. فدلت على عدم قدرتها على الإنجاب وعدم اكتمال الشروط التي تجمع بين الزوجين، ولكن وبعدما رزق بسيدنا يحيى قال تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ 90﴾ [الأنبياء: 90]، في هذه الحالة وبعدما رزق بالولد وحقق مفهوم الزواج وغايته، استعمل القرآن كلمة (زَوْجَهُ) لأن الزوجة تعني الأسرة والتكاثر والأولاد، وهذا أمر يعلمه العرب، وهكذا عندما فضح الله أبا لهب وذبك بالتشكيك في علاقته بزوجه فوصفها في سورة المسد بالمرأة قال تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ [المسد: 4]، ولم يقل (وزوجته).

2- الفصاحة: فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقرآن فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: يَا عَمِّ! أن قَوْمَكَ يَرَوْنَ أن يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا. قَالَ: لِمَ؟ قَالَ لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتَعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ، قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ أو أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ فو الله مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزِهِ وَلَا بِقَصِيدَتِهِ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ. وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، ووالله أن لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَا، وَأَنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ.[1]

وحكى الأصمعي: أنه سمع كلام جارية، فقال لها: "قَاتَلَكِ اللَّهُ مَا أَفْصَحَكِ!"

[1]- البيهقي(أحمد بن الحسن بن علي بن موسى)، دلائل النبوة، ط1، تحقيق عبد المعطي طلعجي، دار الكتب العلمية، 1988م، ج2، ص198.

فقالت: أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ 7﴾ [القصص: 7]، فَجَمَعَ فِي آية وَاحِدَةٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، وَنَهْيَيْنِ، وَخَبَرَيْنِ، وَبِشَارَتَيْن [1].

3- عدم اختلافه وتناقضه: وفي هذا الصدد قال عزوجل﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا 82﴾ [النساء: 82] .

-3- ب- الإعجاز العلمي:[2]

﴿ سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت: 53]

إن الهدف الأساسي للقرآن الكريم هو تبصير الإنسان بطريق الهداية ودعوته لسلوكها، ﴿ إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ [الإسراء: 9].

ولما كان المخاطبون هم جملة الناس بمختلف طبقاتهم وفئاتهم وعلى اختلاف مستوياتهم الفكرية والثقافية، جاء في القرآن الكريم من البراهين والأدلة والأمثال ما يعم الشرائح الاجتماعية على مختلف العصور والبيئات لأن المنطلقات الإنسانية محكومة بالفطرة والعقل والتجارب ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: 54] . إذ يقف العلم التجريبي الحديث فاغرا فاه عند بعض هذه الحقائق الدقيقة.

إن البشرية كلها عاجزة عن الإحاطة بهذه الحقائق والوصول إلى ماهيتها وأسرارها، فهل يعقل أن يكون هذا القرآن من عند رجل أمي .

---

[1]- أبو الفضل القاضي (أبو الفضل بن موسى اليحصبي)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، حاشية الشمني، دار الفكر للطباعة و النشرو التوزيع، 1988م، ج1، ص262و 263.

[2] - مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن ، ط3، دار القلم، دمشق، 1988م، ص155.

-3- جـ - الإعجاز التشريعي:

الإعجاز التشريعي هو إثبات عجز البشر جميعاً، أفرادا وجماعاتً، عن الإتيان بمثل ما جاء به القرآن من تشريعات وأحكام تتعلق بالفرد والأسرة والمجتمع. ومن مميزات هذا الإعجاز هو الربانية، الشمول، العدل، اليسر، رفع الحرج، الدوام، رعاية مصالح البشر، التوازن بين المادة والروح، الكمال، والتوسط والإعتدال[1].

لقد اشتمل القرآن الكريم على الأنظمة التي يحتاجها البشر في حياتهم المعاشية ولم يدع جانبا من جوانب الحياة إلا كانت له نظرته الخاصة وتشريعه المستقل بحيث ينتج من مجموع أنظمته تشريع متكامل لمناحي الحياة كلها قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً ﴾ [المائدة: 5].[2]

وينتج من تطبيقه على الناس أمة متكاملة الشخصية متميزة الملامح والسلوك عن سائر الأمم ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: 110].[3]

-3- د - الإعجاز الغيبي:

يطلق الإعجاز الغيبي عن أخبار نبأ بها النبي محمد ﷺ وقومه مما لم يشهدوه من حوادث وقعت في الماضي البعيد، أو أخبار عما سيحدث في المستقبل، وهو يشمل غيب الماضي وغيب الحاضر وغيب المستقبل [4].

ومن الأمثلة على هذا النوع من الإعجاز هو الإخبار عن انتصار الروم على الفرس بعد أن كان الفرس قد هزموا الروم. جاء في سورة الروم ﴿ الٓمٓ 1 غُلِبَتِ ٱلرُّومُ 2 فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ

---

[1] الإعجاز التشريعي في الاسلام2، 31 ديسمبر 2013، مؤرشف في الأصل في 20 مارس 2020.اطلع عليه بتاريخ: 12 فبراير 2021.

[2]- مصطفى مسلم ، مباحث في إعجاز القرآن ،ط3، دار الفكر، دمشق، 2005م. ص231.

[3] -المرجع نفسه، ص232،

[4]- عمر محمد راجح عمر أبو ليل، الاعجاز الغيبي والتشريعي، (مخطوط مذكرة تخرج ماجستار اصول الدين) جامعة إنجاح الوطنية، المرجع الالكتروني للمعلوماتية، مؤرشف في: 12 فبراير 2021.ص27.

وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ 3 فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ 4 بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ 5 ﴾ [الروم: 1-5].[1]

وأصل الحادثة أن الفرس انتصروا على الروم، فحزن المسلمون لأن الروم أهل كتاب بينما الفرس هم عبدة أوثان، فشَمَتَ كُفَّار مكَّة في النبي محمد ﷺ وأصحابه، فأنزل الله الآيات السابقة تحدِّيًا للعرب وبُشْرَى للمؤمنين. وتندرج هذه الأحداث تحت مفهوم الإعجاز الغيبي بالإخبار عن المستقبل وهذه الإخبارات الثلاثة[2] هي :

- الإخبار بهزيمة الروم للفرس في بضع سنين.
- الإخبار بأن يوم هزيمة الفرس سيكون يوم فرح للمسلمين وهذا اليوم وافق اليوم الذي انتصر فيه المسلمون في معركة بدر.
- الإخبار بالمكان الذي سيُهزمون فيه وهو (أدنى الأرض) .

ومنه قوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا 27﴾ [الفتح: 27]، فكانت هذه الآية بمثابة بشرى للرسول ﷺ ولأصحابه خاصة بعد غزوة الحديبية وتثبيتا لصحة رؤية النبي ﷺ .

أما فيما يخص الماضي فهو يتعلق بقصص الأنبياء واقوام قد خلت من قبل من باب التمثيل والتهويل والوعد و الوعيد. قوله تعالى:﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ 3 ﴾ [يوسف: 3]

[1] المرجع نفسه، ص27.

[2]- الطبري، تفسير الطبري من كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط2، مج2، مؤسسة الرسالة، 1415ه- 1994.ص

الفصل الأول

النبوة وعلاقتها بالإعجاز القرآني عند مالك بن نبي

تمهيد

أولا: النبوة

ثانيا: إدعاء النبوة

ثالثا: خصائص النبوة

رابعا: الإعجاز النبوي إثبات من خلال بحث المصادر

خامسا: الإعجاز من خلال حياته ﷺ

سادسا: كيفية الوحي

سابعا: مقام الذات المحمدية

خلاصة

تمهيـــــد:

إن ظاهرة النبوة كانت ولا تزال محط اهتمام وبحث. تحوم حولها تساؤلات كثيرة. فهي ظاهرة تفوق القدرة البشرية في التصور و الاستيعاب.، لذلك فقد حازت على اهتمام الكثير من العقول بتنوع بيئتهم وثقافتهم، وكانت بحوثهم ترتكز على معايير ومقاييس موضوعية مادية وأحيانا غيبية تقوم على أساس قوانين و أسس ديكارتية وضعية مبنية على الملاحظة والتحليل والاستنتاج.

إن ظاهرة مثل النبوة تتكرر بنفس الكيفية ونفس الشروط من لدن سيدنا إبراهيم –عليه السلام– إلى محمد صلى الله عليه وسلم تلزم وبكل تأكيد ضرورة صحتها وتوابعها.و إن لكل نبي مايلزم صدقه من معجزات، وهي التابع الرئيسي و اللسيق بكل نبي، لذلك نجد مالك بن نبي في كتابه محط الدراسة يجهد نفسه في طرق محايدة ليؤكد للعالم من مسلم وملحد صدق هذا النبي المرسل، فإذا ماتم التصديص بحقيقة نبوته فحتما فصدق النبي يلزم وجوبا صدق ماجاء به من معجزة. فيمنح للفكر فرصة للتأمل بعيدا عن تعقيد كتب التفسير ومتاهات علوم اللغة والنحو؛ التي لم يعد للعربي طاقة في إدراكها و فهمها فماذا عن غير العرب.

أولا- النبـــوة:

1- مفهوم النبوة:

1- أ- لغة:

"من النَبَأِ وهو الخبر المفيد لما له شأن، والنبي بالتشديد أكثر استعمالا، قال بعض العلماء: هو من النَّبْوَةِ أي الرفعة، سمي النبي نبيا لرفعه عن سائر الناس المدلول عليه بقوله: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم 56] "[1].

1-ب-اصطلاحا:

"اختصاص العبد بسماع وحي من الله تعالى بحكم شرعي سواء أمر بتبليغه أم لا، وهكذا الرسالة لكن بشرط أن يؤمر بالتبليغ"[2]، "هي في الإسلام هبة من الله تعالى لمن اختاره واصطفاه، ولا تأتي نتيجة اجتهاد أو تعلم، وإنما هي تكليف وتشريف من الله لرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"[3]

و أما النبوة عند اليهود فقد ورد في دلالة الحائرين لموسى بن ميمون التعريف التالي لها: "اعلم أن حقيقة النبوة وماهيتها هو فيض من الله عز وجل بواسطة العقل الفعال على القوة الناطقة أولا، ثم على القوة المتخيلة بعد ذلك، وهذه هي أعلى مرتبة الانسان وغاية الكمال الذي يمكن أن يوجد بنوعه، وتلك الحالة هي كمال القوة المتخيلة"[4].

وأما النبوة عند النصارى: "النبي هو من يتكلم أو يكتب عما يجول في خاطره، دون أن

---

[1]- الراغب الأصفهاني، معجم المفردات في غريب القرآن ، مادة (ن ب أ). دط، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة البابي الحلبي، مصر 1961 م.

[2] - إبراهيم البجوري، شرح البيجوري على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد ، مطابع الشعب، 1386 هـ / 1966 م، ج2، ص39.

[3] - محمد زين العابدين محمد الطشو، شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة، (مخطوط مذكرة تخرج ماجستير أصول الدين) ، جامعة طيبة 2000م، ص: 110.

[4] - موسى بن ميمون، دلالة الحائرين. دط، دت، مطبعة جامعة أنقرة، أنقرة، 1972 م،دح، ص: 404.

يكون ذلك الشيء من بنات أفكاره بل هو من قوة خارجة عنه"[1].

-1- جـ - الإعجاز في النبوة عند مالك بن نبي:

عبر عنه مالك بن نبي كما يأتي:

" ومنذ (إبراهيم) عليه السلام تتابع أفراد مدفوعون بقوة لا تقاوم، جاؤوا يخاطبون الناس باسم (حقيقة مطلقة) يقولون إنهم يعرفونها معرفة شخصية، وخاصة، بوسيلة سرية هي الوحي. ويقول هؤلاء الرجال إنهم مرسلون من (الله) ليبلغوا كلمته إلى البشر، هؤلاء الذين لا يستطيعون أن يسمعوها مباشرة"[2].

-2- مميزات النبي:

- ظاهرة مستمرة تتكرر بانتظام بين قطبين من التاريخ، منذ إبراهيم إلى محمد ﷺ بالكيفية نفسها﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف46].[3]
- خصوصية هذا الوحي ومضمونه، هما الأمارتان الميزتان المثبتتان لرسالة النبي[4]
- حياة الأنبياء وتاريخهم.
- يتميز النبي الموحى إليه بمقاومة عنيفة ضد الألوهية القومية التي صارت لب العقيدة الشعبية، فهو يتمسك بفكر الاله الواحد[5]
- مهمة النبي في سماته الخالصة: أن لها مبدأ وثيق بالأفكار العامة للحركة النبوية، ولها زمن يتناسب مع عرض هذا المبدأ وتبليغه.[6]
- الاحتراق العميق لمشاعره المضطربة، جراء السخرية والاستهزاء الذي يتلقاه.
- إرادته أن يتخلص من دعوته بامتناع ناتج عن تأمل وإعمال فكر.

---

[1]- قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، ط2، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت، 1971 م، ص: 949

[2] - مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ص 86.

[3]- المصدر نفسه ، ص 86.

[4] - المصدر نفسه، ص86.

[5]- المصدر نفسه ، ص: 92

[6]- المصدر نفسه، ص: 94.

– عنصر ثابت وهو ما يجده في قلبه (كالنار المضطرمة)، فهذا العنصر ينتصر دائما على المقاومة النفسية لشخص النبي حتى في ضرورة الحفاظ على نفسه.

– الأحكام التي يصدرها النبي على الأحداث والطريقة الفذة في النظر إلى الأشياء التي أثبتتها الأحداث بشكل عجيب[1].

ثانيا – إدعاء النبوة:

1– أسباب ظهور مدعي النبوة:[2]

إن من بين الأسباب التي أدت إلى إعطاء صفة النبوة على بعض الكهان والعرافين وأهل الكشف هي:

– استحواذ رجال الدين على المخطوطات التي تبين الصفات الحقيقية للنبوة وهيمنتهم واستغلال احترام الناس لهم نتج عنها فيما بعد هبوط درجة رب العالمين إلى مجرد إله قومي.

– دخول الكثير من الشعائر الآشورية والكلدانية في العبادة حتى أصبحت الشمس تتمتع بتقديس حار في بيت المقدس.

ونتيجة لهذا الإنحطاط الروحي وهيمنة رجال الدين وإخفاء الحقيقة، أدى ذلك إلى ظهور الكثير من الكهان والعرافين وأهل الكشف والذين أطلق عليهم اسم (الأنبيا)، ومن أمثلة ذلك تطور لفظ (المرابط) في شمال إفريقيا الذي كان يعني عضو في إحدى جمعيات الأخوة الدينية العسكرية، فأصبح مع الزمن له صفات خارقة ترتقي إلى صفة النبي وهو ما نعيشه اليوم.

– ما يمنحه العراف لنفسه من حق الإلتباس بصفة النبي الراجع إلى ما يراه العراف ويسمعه في حالات انجذابه وغيبوبته رهن بشخصيته.

– انكار الدراسات الحالية لظاهرة النبوة بوصفها ظاهرة ذاتية وهو بذلك ينكر عن النبي

[1] مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ص: 97.

[2] المصدر نفسه، ص 91.

صفته دون أن يهتم بشهادة هذا الأخير الذي يؤكد أن الموضوع خارج عن مجاله الشخصي.[1]

2- الفرق بين النبي ومدعي النبوة:

بيَّن القرطبي الفرق بين النبي والنتنبئ فقال: وأما الفرق بين النبي والمتنبئ فالمعجزة لا تظهر على يدي المتنبئ لأنه يلزم منه انقلاب دليل الصدق دليل الكذب وهو محال"»[2]، وفرَّق المازري في خرق العادة بين النبي والولي والساحر، إذ قال: "إظهار المعجزة على يد الكذاب لا تصح فيقال: لم ظهرت على يد الدجال وهو كذاب؟ فيقال: لأنه يدعي الربوبية وأدلة الحدوث تحيل ما ادَّعاه وتكذبه. والنبي يدعي النبوة، وهي غير مستحيلة في البشر، وأتى بالدليل الذي لم يعارضه شيء فصدق"[3]

«وقد بيَّن القرطبي أن المعجزة التي تقع على يد الرسول لا يشترط فيها اقتران التحدي عند كل ظهور لها. لكن يكتفى بالإعلام أولًا بنبوته ودعوة الناس إلى تصديقه ومتابعته.

قال: "قوله – صلى الله عليه وسلم –: "الله أكبر، أشهد أني عبد الله ورسوله"»[4]، فقد صرح بنفسه عن حقيقة ذاته.

كما بين مالك بن نبي وأوضح ذلك في كتابه، لخصناها في مجموعة من النقاط كما يلي:

- للنبي القدرة على التعريف بنفسه وبرسالته وذلك لأمرين: لاقتناعه وتحققه الشخصي وهذا أمر مشترك
- إرادة النبي التملص من الرسالة إلا أنها تستحوذ عليه في النهاية.على عكس المدعي فهو يتمسك بها لتحقيق مآرب و اهداف ذاتية.
- أن تعد الرسالة النبوية سببا يثير الاضطراب في الذات الإنسانية: وهو يقصد هن أنه

[1]– مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص: 91

[2]– عبد الله بن محمد بن رميال الرمياء ،«آراء القرطبي والمازري الاعتقادية من خلال شرحيهما لصحيح مسلم» ،(مخطوط مذكرة تخرج أطروحة دكتوراه) جامعة ام القرى، بمكة المكرمة، ، 1427هـ، ص664.

[3]– المرجع نفسه، ص 665.

[4]– المرجع نفسه، ص666.

كلما جاءت رسالة انتشر التوتر بين أفراد المجتمع. والتي يصاحبها عدم ظهور دوافع حقيقية لهذه الرسالة بوصفها لا تحدد ملامح هذه الشخصية .على عكس المدعي الذي ينتهز ظروف معينة تناسب الفكر القومي السائد.

- الرغبة في التملص من الدعوة التي استولت عليهم في النهاية دليل على صحة نبوتهم.[1]

- المقاومة العنيفة للنبي ضد الألوهية القومية[2]: فهو يدعو بجميع جوارحه ويصب جميع اهتمامه للتأكيد على أن الله واحد، من خلال إقناعهم بصحة فرائضه الخاصة. على عكس المدعي فهو يتودد إلى أهله ويتملص من آرائه و يغير أفكاره على حسب أهواء مريده لا على حسب دعوته.

- مهمة النبي لها مبدأ وثيق الصلة بالأفكار العامة للحركة النبوية، ولها زمن يتناسب مع عرض هذا المبدأ وتبليغ دعوته وتحذيراته المروعة،على عكس المدعي فكل واحد منهم يأتي بشطحات من فكره، يظهرون في كل زمان و في كل آن ليس لهم جنس و لا فكر محدد.

- 3- صفات مدعي النبوة:

- انتهازي يتبع التيار الشعبي، فلا أثر له أخلاقيا وليس ملهما، موقفه هو موقف مبالغة في التساهل تصل إلى درجة التملق والملاينة.[3]

- لا يبشر مدعي النبوة بمبدأ شخصي، بل يكتفي إما بأن يطنب في شرح رسالة النبي أو أن يبشر بنوع من المعارضة في مقابل رسالة النبي.[4]

- استمرار ظهور مدعي النبوة في جميع العصور وفي كل مكان.[5]

---

[1]- الظاهرة القرآنية، ص: 92.

[2]- المصدر نفسه ، ص: 93.

[3] -المصدر نفسه ، ص: 94.

[4]- المصدر نفسه ، ص: 94.

[5]- المصدر نفسه ،ص:94.

ثالثا- خصائص النبوة:

هذه بعض الخصائص المميزة للنبي عن غيره كما ذكرها مالك بن نبي من خلال دراسة شخص النبي (أرمياء)[1] فإذا ما جمعت في شخص تأكد أنه نبي صادق ليس بكاذب و أن قوة أكبر منه ومن الطبيعة تقوده وهي كما يأتي:

أولا: صفة القهر النفسي الذي يقصي جميع العوامل الأخرى للذات وإلزام النبي في النهاية بسلوك معين ودائم: وهذا ما تكلمنا عنه في العنصر السابق من انتفاء الألم النفسي الذاتي والألم الخارجي مقابل القهر النفسي الذي يواجهه النبي وعبر عنه بقوله (النار المضطرمة في القلب)

ثانيا: حكم فذ على أحداث المستقبل يمليه نوع من القهر الذي ليس له أي أساس منطقي: ونجد ذلك من خلال صدق تنبؤات النبي التي كان المجتمع يسخر منه بها وينفي صدق وقوعها.

ثالثا: استمرار مظاهر السلوك النبوي وتماثلها الظاهر والخفي عند جميع الأنبياء: فقد كان اختفاء (أرمياء) لفترة لا يعلم أحد الأسباب وراءها، لكنه في الأخير عاد وبقوة وإصرار أكبر من الأول، ليعود بذلك إلى سلوك النبي الذي هو رهن عليه.

أن مالك بن نبي في محاولته في أن يحقق هذه الخصائص وينفي تماما احتمالية تحكم مظاهر نفسية ذاتية على شخص النبي ناتجة حسب علم النفس من حوادث تخضع لها، بالإضافة إلى إنكاره تحكم الذات أو حضورها دونما استسلامها إلى الذات النبوية، التي هي مسيرة حقيقة وغير مخيرة، فلو أنها كانت مخيرة لما كتب النبي (أرمياء) يصف حالته النفسية ويصف خوفه واضطرابه من أمر هو لا يريده ولم يسع إليه بشيء من دوافعه الشخصية، أن مالك بن نبي يرى قصورا في هذا العلم الذي اتخذ الطريقة الديكارتية واتبع منهجها في سائر الأمور الحياتية كيف إنه قد قسم الذات البشرية للنبي، وكيف ادعى أنها شخصية مزدوجة

[1]- أرمياء احد انبياء بني إسرائيل. هو أرمياء و قيل: أرميا، وقيل رميه، وقيل: حلقياء من سبط ابن نبي اله يعقوب عليه السلام، وقيل من سبط هارون بن عمران أخي موسى بن عمران، عاش نحو 650، 585 ق.م ، لم يبذكر في الكتاب و لا

تسأل احداهما الأخرى وتتأثر بانكشافاتها؟

رابعا- الإعجاز النبوي إثبات من خلال بحث المصادر:

- 1- صحة مصدرية القرآن:

إن القرآن و بعكس الكتب المقدسة الأخرى قد أثبة التاريخ صحة مرجعيته و قداسته و تنزيهه من أي ويغ او و تحري، وهذا ما أشار اليه مالك بن نبي و أكده من خلال كتابه نختصر حجته في نقاط كما يلي:

- التحديد الكامل للنص القرآني في عهده ﷺ[1]، وتهد الله بحفظه نزولا عند قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف 12/ 12].
- حفظ القرآن في الصدور و مكتوبا.[2]
- الدقة المتناهية في طريقة تدوين القران الكريم في العهدتين، الأولى في عهدة الخليفة أبا بكر بتوصية من عمر، و الثانية في عهدة الخليفة عثمان بن عفان.[3]
- لم يثر النقد أية مشكلة حوله، سواء أكان ذلك شكلاً أم موضوعاً.[1]

- 2- صحة مصدرية الحديث الشريف:

لم تظهر أهمية الحديث إلا بعد وفاة النبي ﷺ، وخاصة من الناحية الشرعية بوصفها مصدراً ثانياً للتشريع الإسلامي، ومن المؤسف أنه لم يتوافر لهذا الصدر ما توافر للأول من الصحة التاريخية فإن الأحاديث لم تحفظ بالعناية المنهجية نفسها التي ظفر بها القرآن، فلقد منع الرسول ﷺ في حياته الصحابة بقوة وصراحة من أن يكتبوا أقواله، حتى لا يحدث أدنى خلط ممكن بين ما ينطق به، والآيات المنزلة أي بين السنة والقرآن.

ومع تكاثر الحاجات في المجتمع الإسلامي نما هذا التشريع، فاتجه الفقهاء إلى أن يثبتوا-

---

سنة.ذكره مالك بن نبي كمثال على الحالة النفسية التي تصيب الانبياء و ثباتهم رغم مايصيبهم من ضلم وقهر. ينظر، مالك بن نبي، الظاهرة القرأنية،ص: 92-97.

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ص: 104.

[2]- المصدر نفسه ، ص:104

[3]- المصدر نفسه ، ص:104- 105.

ما وسعهم الجهد– الأحاديث التي يجب أن تصبح عنصراً جوهرياً في الفقه القانوني، ومع ذلك فإن المسافة بين وفاة الرسول ﷺ وعصر تدوين الحديث كانت ذات أهمية، إذ حدث خلالها خلط كثير، وشكوك مضاعفة بين الأحاديث الصحيحة وغيرها، وقد أحاط مالك بن نبي ببعض النقاط التي استوفاها العلماء المسلمون ليسلم هذا المصدر من التحريف نختصرها فيما يأتي:

- وضعت طريقة نقدية صالحة لتمييز ما هو صحيح عما ليس كذلك، فطبقت طريقة النقد التاريخي التي تشمل تحقيق اتصال الرواية، وقيمة الرجال الذين وصل عن طريقهم الحديث.[2]
- تصنيف الحديث ثلاث مجموعات تبعاً لدرجة التثبت التاريخي: الصحيح، والضعيف، والمكذوب.[3]

فهذه هي مصادر الإسلام المدونة، في حالتها الراهنة: الآيات القرآنية الصالحة لأن تستخدم وثيقة تاريخية مطلقة الصحة؛ والحديث الذي يختلف في درجة الصحة، والذي لا يصح أن يستخدم– على كل حال– في أية دراسة نقدية إلا مع الاحتياطات المستخلصة من الطرق نفسها التي اتبعها العلماء المحدِّثون المنزهون عن الكذب أو الغش أو التدليس، كالبخاري ومسلم.

[1]– المصدر نفسه ، ص: 106.

[2]– مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ، ص: 107.

[3] –المصدر نفسه ، ص: 107.

خامسا- الإعجاز من خلال حياة الرسول ﷺ :

- 1- عصر ماقبل البعثة:

نقتصر في ذكر المعجزات على ما أورده مالك بن نبي في كتابه ومن ذلك:

- **المعجزة المتمثلة في حادثة شق الصدر**[1]: قال تعالى﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ 1 وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ 2﴾ [الشرح: 1-2].

- **معجزة الغيمة التي تظله في السفر**: وموقف الراهب بحيرة إزاء النبي: عندما بلغ سيدنا محمد ﷺ الثانية عشر من عمره و اصطحبه عمه (أبو طالب) في سفره في قافلة تجارية إلى الشام وكان الرسول ﷺ طوال الطريق تضله غمامة تحميه من حر الشمس. وعند بلوغهم البصرة لاحظ ذلك راهب هناك اسمه بحيرة فحذر عمه بطش اليهود[2]. فكانت بذلك معجزة أظهرت شخص النبي وحقيقته التي لم يكن يدركها أحد رغم أنهﷺ وعمه لم يعطيا للحادثة أهمية تذكر.[3]

- **معجزة رده عن المعاصي:** حين عزم النبي أن يرتع ويلهو مثل أقرانه. فقد كان يوم أوصى فيه صديقة بكفالة أغنامه عنه ليذهب ويلهو في المدينة لكنه صادف في طريقه عرسا فيه غناء فتوقف لينظر حتى تمكن منه النوم، فنام إلى الصباح، وكذا فعل ثانية فقدر الله أن لا يفعل. وهنا يمكن أن ندرك أن إرادة النبي لم تتحقق بل تحققت إرادة الله فهي معجزة تفوق قدرة النبي الذي أذعن لأمر الله وترك اللهو لغيره من الأقران.[4]

---

[1] – مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ، ص: 111.

[2]– نزل أبو طالب والنبي – صلى الله عليه وسلم– في بصرى، وكانت بالقرب من الراهب بحيرى، فدعاهم إلى صومعته، ولم يكن يدعوهم إليها من قبل عندما كانوا يمرون عليه، وسبب ذلك هو الغمامة التي ظللت النبي – صلى الله عليه وسلم– طول الطريق لتحميه من الحر، وهذه معجزة من الله – تعالى– .[٣] فأخذ بحيرى يتأمل النبي – صلى الله عليه وسلم– وينظر إلى بعض الأجزاء من جسده، ويلاحظ صفات كان يجدها في كتب عنده، وبعد ما تناولوا الطعام قام بحيرى إلى النبي – صلى الله عليه وسلم– وسأله عن بعض الأمور فكانت إجابتها متوافقة مع ما عنده، وأخذ ينظر إلى بين عينيه، ثم كشف على ظهر النبي – صلى الله عليه وسلم– فرأى خاتم النبوة، وكان كما وصف عنده، فقبّل موضع خاتم النبوة.

[3]– مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ،ص: 112.

[4] – مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ، ص: 113.

2- عصر القرآن (نزول الوحي) :

- **معجزة الوحي:** إن نزول ملك على بشر ليس بالأمر العادي الذي يرى كل يوم .إنه بالنسبة لشخص محمد ﷺ أكبر من أن يستوعبه عقله أو تتقبلها جوارحه، ولأنها كانت أكبر منه فقد ألقي مغشيا عليه. لكن الوحي الأمين أرسل من رب العالمين بأمر عظيم، الدعوة إلى الله الكريم دون كل وثن من صخر أو طين، إنه أمر عظيم وإنه بحق معجزة فوق اليقين، لهذا أخذه الثانية والثالثة حتى لا يظن النبي ﷺ أنه مس أو جنون أو عته كما يقولون[1].

لقد رجع إلى زوجه يدكه الروع دكا، يحدثها عن أمر كالجنون، أهو سحر أو مس أم أنه ضرر قد أصاب العيون. لكن الرسالة لم تتركه، فبينما هدأته زوجه وتركته لينام عاد إليه الزائر الثانية وأفاقه، إنه لم يوقظه من النوم بل هذه المرة أيقظه من الغفلة إلى اليقين، إنه رسول رب العالمين، قال له جبريل على لسان رب العالمين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ 1 قُمۡ فَأَنذِرۡ 2 ﴾ [المدثر: 1-2] . لما عادت إليه زوجه فوجئت لعدم نومه فساورتها الشكوك، فأخبرها أنه لا نوم بعد اليوم .[2]

- **أكل الأرضة لصحيفة المقاطعة المشؤومة:** إن إصرار محمد ﷺ على تبليغ الدين ورفع راية التوحيد ولو كره المشركون، لم يكن بالأمر الهين، فقد هاج السادة الظالمون وكتبوا بأيدي الجور والزور صحيفة بمقاطعة بني هاشم قوم الرسولﷺ، كان لها مالها عليهم، فأرسل الله جنده لنصرة نبيه، وما كان جنده إلا أرضة كان لها رغم صغرها وضعفها قوة أكبر من قوة الرجال العتاه، وألغت بأسنانها الدقيقة وثيقة الإجرام والجور، ووقف عندها الكفار مسحورون منبهرون، إنه حقا حكم رب قوي عزيز. لقد رأى النبي الحادث في منامه ولقد صدق الله رؤيى نبيه. وإنها معجزة أكدت صدق نبيه، وبذلك سحب قرار المقاطعة.[1]

- **نجاته ﷺ من مكيدة قتله:**

إذ اجتمع قريش على قتل النبيﷺ وأخذوا من كل قبيلة رجلا ليضربوا محمدا ﷺ ضربة واحدة

[1] -المصدر نفسه ، ص: 125.

[2]- المصدر نفسه ، ص: 125.

تؤدي بروحه فيتفرق دمه بين القبائل، لكن الله كان لهم بالمرصاد إذ خرج النبي ﷺ أمام أعينهم ولم يروه، فكانت معجزة أخرى تؤكد نبوته ﷺ وتثقل كاهل من كذبوه وترد بذلك أباطيلهم.[2]

- **حجب النبي ﷺ وصاحبه عن أعين المشركين في غار ثور:** وتتوالى المعجزات لنصرته ﷺ ولإثبات صدق ماجاء به، وها هو يلجأ إلى (غار ثور) يحتمي وصاحبه من بطش المشركين. ولما أدركوا غار ثور ولم يكن بينهم وبين الهاربين مسافة لا تتجاوز الذراع، خاف أبو بكر، فطمأنه النبي ﷺ قائلا: (لا تخف إن الله معنا)[3]. فحطت الحمامة في عشها مطمئنة ونسج العنكبوت بيته يحمي به نبيه ﷺ بخيوط هشة رقيقة، فكانت معجزة أبهرت المشركين، وولوا مدبرين. إنه لا يكون بشر في غار وتطمئن الحمامة معه في عشها ولا يمزق نسج للعنكبوة هو بيتها، وفي هذا نزل قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ 40 ﴾ [التوبة: 40] .
- **تخيير النبي بين الموت أو الفناء:** بينما النبي بين ذراعي زوجه عائشة وهو في ساعاته الأخيرة ينتظر النهاية سمعته يتمتم بصوة خفي " اللهم في الرفيق الأعلى"، لقد خير النبي فاختار جوار ربه، إنها معجزة خص بها النبي وحده ، فلم يخير مخلوق قبله ولن يخر من بعده بوفاته إلا محمد ﷺ.[4]

---

[1]- المصدر نفسه ، ص: 129

[2] – مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ، ص: 132

[3]– وروى الإمام أحمد والشيخان عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدمه لأبصرنا تحت قدميه» فقال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»

[4]– مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ، ص: 142.

سادسا- كيفية الوحي:

سأحاول من خلال هذا العنصر أن أبرهن صحة الوحي من حيث هو معجز. بإثبات مصدره الألوهي واستبراء النبي من أن يكون له تصرف فيه أو رأي، إنما هو مبلغ لا علاقة له بالمفكر.

-1- اقتناع النبي الشخصي:

من حيث هو نبي هو المعني بالتأكيد صفة الوحي أو إنكارها من حيث هي معجزة يسلم بها وبصدق ما جاءت به، أو بمصدرها الذاتي أيا كان فكرا أو شطوح فكر، فيدرس ويحلل لمصدره البشري.

فمن خلال تحليل مالك بن نبي لما أورده العلماء من تحليل للظاهرة، وجد فيها تناقض بين ذاتية الوحي من ناحية، ومن ناحية تتقبل شهادة هذه الذات المقترنة بها مباشرة.

ولهذا وجب الأخذ برأي هذه الذات على تعبير مالك بن نبي، ذلك الرأي الذي ينعكس بكل وضوح في اقتناعها النهائي.

وهذا ما جعل مالك بن نبي يبحث فيما كان هذا الاقتناع ناشئا عن تفكير أو اقتناع؟

لقد قلنا آنفا أن الرسول ﷺ أنه في البداية قد ظن بنفسه الجنون أو المس أو أنه قد سحر وهذا دليل على إعمال العقل، و التفكير والتأمل، وعليه فإن اقتناعه لأول وهلة يبدو حقيقة لا يمكن إغفالها.

فقد احتاج النبي لإثبات الوحي أن يدعم اقتناعه بمقياس ظاهري للتحقق من وقوع الوحي، ومقياس لمناقشتها وتسويغها.[1]

-1- أ- المقياس الظاهري:[2]

المظهر الأول: إن الشك الذي ألمّ بشخص النبي بعد أول لقاء له مع سيدنا جبريل الذي أعلمه بأنه رسول من رب العالمين قد أثارت الكثير من الشكوك والتساؤلات عند هذا

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ، ص: 146.

[2] - المصدر السابق، ص 149.

الشخص البسيط، والتي استمرت تثقل كاهله خاصة في فترة انقطاع الوحي الذي استمر قرابة العامين. إن عودة النبي إلى الغار ورؤيته لرجل يتوشحه البياض يكلمه بوضوح قائلا: (إقرإ)، لا يضن السامع أنه لمخلوق أن يراوده الخلط على عكس الرؤية الأولى التي رأى سيدنا جبريل على خلقته، ورغم اليقين فإن الرجل المتشح بالبياض لم يترك له فرصة للشك أو الريب فأخذه الأولى والثانية والثالثة، فإن كان نائما وجب عليه الاستيقاظ وإن كان به دهشة أو طاش فكره ركز. وكأنما جبريل –عليه السلام – لسان حاله يقول: أنك لا تهذي يا محمد أنها حقيقة إنك نبي مرسل. ولكنه كما في كل مرة يعود مهرولا منبهرا خائفا إلى زوجه الحانية لتهدأ من روعه وتذهب الخوف والفزع عنه، فإذا ما تمكنت زوجه من تهدئته واستسلم لنومه، ثن يعود إليه مرة أهرى ملك الوحي ليأمره فيقول: (قم فأنذر) . لقد أدرك النبي هنا يقينا إنه موجه لمهمة وإن لم يدرك حقيقتها إلا أنه أدرك عظيم شأنها.

قال تعالى﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ 94﴾ [يونس: 94] .

المظهر الثاني : أن النبي كان يسمع دويا مؤذنا شبيها بدوي النحل عندما يطلق من خليته وأحيانا أكثر رنينا حتى كأنه صلصلة جرس.

المظهر الثالث: شحوب وجهه ﷺ المفاجئ يتبعه احتقان وجه النبي، حتى أن النبيﷺ أمر أصحابه أن يلقوا على وجهه ستارا كلما رأوا الظاهرة[1]، وهذا دليل ظاهر للعيان كما أدركه محمد ﷺ أدركه أصحاب محمد ﷺ، وأدركوا أنه أمر أكبر من إرادة النبيﷺ.وقد أدرك من زامن الوحي أن الأعراض العضوية كانت تقتصر على الوجه دونما الجسد، وأن عقل النبي كان واعيا ولم يكن مغشيا عليه أو ساليا. إن هذه النقاط تدلل حقيقة على صحة الوحي وبذلك فهي تؤكد معجزته.

[1]– عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: (كان النبي ﷺ اذا انزل عليه الوحي كرب لذلك. وتربد وجهه، وفي رواية انكس راسه ونكس أصحابه رؤوسهم، فاذا سري عنه رفع راسه)

2- ب-المقياس العقلي:[1]

إن العقل يستند إلى الملاحظة والتحليل والاستنتاج. فإذا ما لاحظنا، وجدنا محمداﷺ أمي، لا يجيد القراءة والكتابة. في مجتمع وثني بدوي خالي من العلوم والتاريخ لأخبار الأولين. لم يكن لقريش فخر في الفنون إلا في الشعر فلم تكن لهم علوم تفخر بها إذا ماقورنت بالشعوب التي تجاورها. كما لم يكن لمحمد ﷺ سفر أبعد من حمى قريش للرعي.

ثم إن انقطاع الوحي لمدة عامين دليل عقلي سامي على صدق الوحي و خروجه عن إرادته ﷺ.[2]

عودة الوحي على حين غرة دونما تخطيط منه ﷺ، دليل كاف ليرفع أي شك لعاقل، فلو كان من عنده لما انقطع عنه عامين ثم يعود و ما احتمل صخرية و استهزاء الآخرين.[1]فقال عزّ من قائل: ﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا 5﴾ [المزمل: 5] .

ويؤكد العلي العليم لمن كذبوه صدق ما جاء به فيقول﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ 1 مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ 2 وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ 3 إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ 4 عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ 5 ذُو مِرَّةٖۚ فَٱسۡتَوَىٰ 6 وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ 7 ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ 8 فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ 9 فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ 10 مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ 11 أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ 12 وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ 13﴾ [النجم: 1-13]، إن مجموع هذه الملاحظات يعطي تحليلا واضحا هو أن الذي يتحدث لا يأتي من عنده ومن ذاته بما يقول فالذي يقول ليس لأمي أن يقوله، أو أن يدرك كل الركام الهائل من المعارف العلمية والأدبية والقصص الغريبة أن كانت عن الأولين أو أخبار عن القادمين. إن الحالة النفسية تبرهن وجود قوة أكبر من الذات المحمدية، انتظار الوحي والرغبة فيه يؤكد أن شخصا ينتظر قدوم شيء بعيد عنه غير قادر عليه. وأن هذا التحليل وبالتأكيد يحيلنا إلى نتيجة أكيدة أن الوحي من رب العالمين وأن محمداﷺ قد ألقي إليه الوحي وهو معجزته في أمته.

[1] - مالك بن نبي، الظاهرة القرانية،ص 154.

[2]- المصدر نفسه، ص: 157.

سابعا- مقام الذات المحمدية:[2]

يقول مالك بن نبي: "سنجد فيما بعد أن الذات المحمدية لن تتحدث مع الذات المتكلمة حين تخاطبها، وهذا الصمت –في ذاته– جدير بالملاحظة، لأنه يسجل إدراك الرسول ﷺ النهائي للوحي، الذي سيقف منه منذ ذلك الحين موقف التسليم. وستظل ذاته دائما صامتة في الخطاب القرآني، الذي لن يذكر الأحداث الخاصة في تاريخه"[3]. من هنا نجد مالك بن نبي يؤكد انفصال الذات المحمدية عن ذات الوحي وهو أسلوبه ليؤكد صدق الوحي وصدق نبي الوحي وهي طريقتنا لنتتبع الإعجاز في الوحي عن طريق نبي الوحي.

إن علم النفس يؤكد أن الإختلاط العقلي الذي يحدث في هوامش النوم عندما يغشى النوم الذات الواعية أي بين اليقضة والنوم (hallacination hypnagogique)، ويطلق على الاختلاط الذي يحدث عندما تخرج هذه الذات من النوم، أي بين النوم واليقظة: (hallacination hypnopompique)[4] . وعلم النفس يؤكد أن الحالتين لا تصيبان الإنسان السوي، وهن نقصد ذات النبي لوجود سبب حسي هو ترتيل أصوات مسموعة المتمثل في الوحي.

لهكذا يجب أن نقر أن هنالك ازدواج في الذات النبوية. وهذا الازدواج لا يمكن أن يكون في نفس واحدة.

فكما يحدث بين كل اثنين يتحاوران يمكن أن نتخيل الحوار بين الذات المحمدية وذات الوحي كي نتمكن من تبسيط الصورة وإيضاحها أكثر، رغم أن الحوار ليس حديثا متبادلا، بل هو تقبل حديث فقط، فذات الوحي تتكلم، وذات النبي تسمع فقط. فقد دلل القرآن الكريم على هذا الحوار الغريب، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا

---

[1]– المصدر نفسه، ص: 156.

[2] - مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ص 161.

[3]– المصدر نفسه ، ص: 163.

[4]– المصدر

، ص:161.

كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ 22 ﴾ [يونس: 22] ،إن الإنتقال الغير العادي من ضمير (كم) إلى ضمير (هم) جدير بالملاحظ، لأنه لا يمكن أن يكون خطأ نحويا. إننا لا نعالج الصيغة النحوية إنما نريد بها الحالة النفسية التحليلية هنا يكون للذات النبوية دوران: دور المخاطب المقصود بالخطاب، ودور الشاهد عل المخاطب. وإن كان غير مقصود بالحوار مباشرة، موضوعا بصفة طارئة أمام مشهد عبر عنه القرآن بضمير الغائب. أن الحوار يؤكد وجود ذاتين في الحوار اللذان يجتمعان حتما في ذات واحدة هي الذات المحمدية. فيقول مالك بن نبي: (وبعبارة أخرى يجب أن يكون الضمير (هم) في الآية المذكورة النتيجة النفسية المباشرة للضمير (كم)، أو هو يصدر عنه بواسطة نتيجة وسيط[1]. إن المشهد موحد لكن الفاعل أو المخاطب يتغير، والمتمثل في الذات المحمدية وهذا ما يسميه المفسرون (بالالتفات) ، والإلتفات ما هو إلا تفسير سطحي لا يخدم ما نحن بصدده من ازدواج الذات ساعة الوحي. إن تفسير مالك بن نبي لهذا الوضع مخالف للقوانين الديكارتية والمعلوم من أسرار الذات الإنسانية، وإنا نظن إنه المراد لإثبات إعجاز الوحي وإعجاز ما يتصف بظاهرة ازدواجية الذات النبوية. فإذا ما سلمنا أن المعجزة أمر خارق فوق طاقة البشر فقد توصلنا من خلال تحليلنا إلى المعجزة الحق. وهو دليل أن الذات التي تنقل الوحي مستقلة تماما عن الذات المحمدية لا يربطهما رابط غير رابط الوحي.[2]

1- الفكرة المحمدية [3]:

إن قصة النبيﷺ مع الأنصاري في كيفية تلقيح النخيل التي بعد مشورة النبي لم تثمر لدليل على أن لذات النبي ازدواج بين شخص النبي الموحى إليه وشخص الإنسان العادي، إذ أن النبي أقرّ في النهاية أنه على الفرد أن ينظر إلى معرفته ويقينه في الأشياء ولا يأخذ

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ، ص: 165.

[2] - المصدرالسابق، ص: 166.

[3] - مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ص 167.

برأي أحد وإن كان نبي[1]. فأقرّ بنفسه ﷺ بأسبقية العقل والتجربة في الأمور الدنيوية.[2] وقد تكلمنا سلفا عن هذا الانفصال في شخص النبي (أرمياء) فهو أمر لازم لكل نبي، قال عزّ من قائل: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى 52]، وهي آية تلخص معظم القول في ذات النبي وذات الوحي وحقيقة انفصالهما رغم تواجدهما في شخص واحد هو شخص النبيﷺ.

أننا لا نجد حالة واحدة نسخ فيها النبي آية قرآنية بتجربة فردية حتى ولو كانت تجربته هو نفسه[3].فنحن إذن أمام فكرتين تتمثلان في نظر النبي بقيمتين مختلفتين: الفكرة الشخصية التي تنبعث من معرفته البشرية، والوحي القرآني المنزل عليه[4]،ويظهر هذا التمييز أيضاً لدى الأنبياء الآخرين كما استطعنا أن ندرك هذا في بحث حالة النبي (أرمياء)[5] .

وفضلاً عن ذلك فإن القرآن يثبت تماماً في النطاق الزمني هذه النسبة بين المصدرين في قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} [الشورى 42]، فبقوله (أوحينا) يرد الفصل في القرآن بين الفكرة المحمدية والفكرة القرآنية

كشف التعارض بين الفكرة المحمدية والفكرة القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ [طه 99] التعارض بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث، فلا يمكن بحال أن يتشابه قول الرسول ﷺ مع مايوحى إليه ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت 48] .

---

[1]– فعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: (قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل (يُلقِّحون النخلَ) فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنعه، قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا، فتركوه فنفضت، فذكروا ذلك له فقال :إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشئ من رأى فإنما أنا بشر (رواه مسلم .وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بقومٍ يُلقِّحون فقال :لو لم تفعلوا لصلَح، قال فخرج شِيصاً (تمراً رديئاً) . فمرَّ بهم فقال :ما لنخلِكم؟ قالوا: قلتَ كذا وكذا، قال :أنتم أعلمُ بأمرِ دنياكم (رواه مسلم).

[2] – مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ، ص: 167.

[3]- المصدرالسابق، ص: 168.

[4] - المصدر نفسه، ص: 168.

[5] - المصدر نفسه، ص: 169.

إن للعبارة القرآنية نسقا واضحا يتعارض مع مايقول البشر من تناسق في اللفظ والجرس الموسيقي الذي تدركه أذن السامع، وهذا الذي أعجز به القرآن البشر فهو معجز ليس لبشر أن يتأتاه القول بمثله.[1]

2-الرسالة[2]:

يركز مالك بن نبي في هذا الفصل على السحر الذي ينعكس على العقول الديكارتية التي لا تؤمن إلا بالمادية والأمور الحسية، فإنهم لن يرجعوا من بعد سماع الوحي وإدراك معانيه، إلا بأيدى ملآ وعقول منبهرة، إذ في القرآن من الحجج والدلائل العلمية التي تعجز العقل البشري الكثير، وليس لأحد أن يدعي أنه مجرد تخمين أو إدعاء، إذ يقول مالك بن نبي في وصف هذا السحر: (وليس لأحد أن يتصور الخطأ أو العدم الذي سترته هذه الأقنعة، عندما تسيل هذه الكلمات من لعاب قلم مهيب لكتاب كبير، فتطلق كتبه أشباحها لتخطر في عقول كثير من المتعالين، فتزيد من سخافتها) .[3]

فقد شاع في الأواسط العلمية رجوع الباحثين إلى الكلمات القرآنية لنيل مفاتيح علمية غابت عن إدراكهم البشري الناقص إلى من يملك مفاتيح الكمال، فكثير من الدراسات الإسلامية أزاحت اللثام عن الكثير من القضايا الإنسانية الدقيقة في شتّى المجالات العلمية. وأعطى مالك بن نبي مثالا في علم الفلك، والأمثلة غيرها كثيرة.

فهم بذلك يدللون للبشرية استقلال الذات المحمدية عن ذات الوحي وكيف لا، إذا ما أردنا أن نقارن عالما جليلا في يومنا هذا بالأجهزة وعظيم الأدوات المتطورة، لا يمتلك القدرة للكشف على أمور كشفها النبي قبل الأربع عشر قرنا من الزمن، نبي أمي لا يحسن القراءة ولا الكتابة.

وعاد بنا مالك بن نبي إلى مثال (اللا شعور) كأنه يؤكد أن جميع النقاط مكملة لبعضها، ويوضح من خلال هذا المثال كيف أن علم النفس قد تجول في متاهة كبيرة كي ما يصل

[1] - مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ، ص: 170.
[2] - المصدر نفسه، ص 173.
[3] – المصدر السابق ، ص: 173.

إلى تفسير منطقي لهذه الكلمة.

خلاصـــة:

إن مالك بن نبي في محاولته في أن يثبت معجزة القرآن من خلال إثبات صدق النبي المرسل وذلك بالتنويه الى الخصائص التي تميزه عم غيره من المدعي وينفي تماما احتمالية تحكم بعض المظاهر النفسية الذاتية على شخص النبي الناتجة حسب علم النفس من حوادث تخضع لها، بالإضافة إلى إنكاره تحكم الذات أو حضورها دونما استسلامها إلى الذات النبوية، التي هي مسيرة فرضت عليه ﷺ ولم يخيرها ، إنه أبلغ دليل على صدق النبيﷺ و صدق ما جاء به، وهو النص القرآني الذي أنزل عليهﷺ و الذي هو معجزته التي تميزه و التي خص بها كما خص الله سيدنا موسى بمعجزة العصى و اليد البيضاء و كما خص أرمياء بصدق التنبؤات و غيرهم من الأنبياء.

توصلت في نهاية هذا الفصل إلى أن مفهوم النبوة أمر يقره النبي كذات، و يدركه المرء من خلال مسيرة هذا النبي بما أودعه فيه الله من خصائص ومميزات دون غيره من البشر يمكن أن يدركها المتأمل العاقل المريد للحق. ثم انتقلنا إلى مدعي النبوة لنكشف زيفه وخداعه من خلال الأسس التي وضعها مالك بن نبي للشخصية الحق للنبي، و بالمقارنة بينهما في تتبع لعرض مالك بن نبي، يمكن للقارئ من الملاحظة والإستنتاج .وانتقلت بإتباع خطى مالك بن نبي إلى شخصية سيدنا محمدﷺ ،إذ قدمنت بعض القصص المصاحبة للعبرة والتي تحيلنا في النهاية إلى أن محمد ﷺ بشر كسائر البشر له مشاعره الخاصة وميولاته النفسية وأفكاره التي هي مستقلة عن الوحي تماما ما لكيتأكد للحميع في النهاية صدق معجزته.

ختمت في الأخير هذا الفصل بالتحدث عن الرسالة والتي هي بالتأكيد التابع المنطقي لكل نبي، والتي هي ذات المعجزة، وكيف كان لها سحرها وقوتها على العقول المبصرة وعلى القلوب المنيرة فكانت ولاتزال بحق معجزة خالدة.

الفصل الثاني

الوحي وعلاقتة بالإعجاز القرآني

عند مالك بن نبي

تمهيد

أولا: الخصائص الظاهرية للوحي

ثانيا: أوجه الإعجاز في الوحي

ثالثا: العلاقة بين القرآن والكتاب المقدس

رابعا: تاريخ الوحدانية

خامسا: قصة سيدنا يوسف في القرآن والكتاب المقدس

سادسا: إعجاز القرآن من خلال موضوعاته ومو اقفه

خلاصة

تمهيـــد:

يعدّ الدين من الأمور اللصيقة بالعنصر البشري، وهذا ما أكدته الآثار والمستحثات على مر العصور، حيث شكل الدين مركز اهتمام البشرية بمختلف الثقافات وعلى مر التاريخ. تعد معجزة الوحي من لوازم النبوة، الأمر الذي أحيط بالعديد من التساؤلات حول حقيقة هذا الوحي وحقيقة صدقه ومرجعيته، وأحاط النبي بالكثير من الشكوك وأضيف له العديد من التهم. إن العقل البشري وبعظمته لا يؤمن إلا بالملموس، وما هو محسوس، وما تدركه الأبصار و لا تخالطه الظنون. إلا أن القرائن اللصيقة بالوحي تروي العقول، وتنير الأبصار لمن أراد أن ينار، ولم يرد مجرد التشكيك والإتهام. إن هذه الصفات التي خص بها الوحي جعلته أبلغ من الحقيقة وأدق من الدقيقة، وقد أوردت هذه الصفات والخصائص، بما يروي الأفئدة، من خلا الفصل الأخير، وعلى الله التيسير.

I- الخصائص الظاهرية للوحي[1]:

-1- مفهوم الوحي:

-1- أ- لغة:

الوحي بمعنى الصوت الممدود المخفي. أوحى إليه وأو رمى إليه بمعنى، ووحيت إليه وأوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيره؛ وأوحى الله إلى أنبيائه: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ 68﴾ [النحل: 68] .

الإعلام في خفاء بإشارة، أو كتابة، أو إلهام، أو مناجاة، أو نحو ذلك ، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة. وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكريا: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا 11 ﴾ [مريم: 11] إلخ، أى: أشار إليهم ولم يتكلم. والوحى بتشديد الياء السريع، ومن وحى الإيماء بالجوارح.

-1- ب- شرعا:

وقد عرفوه شرعا أنه إعلام الله تعالى لنبى من أنبيائه بحكم شرعى ونحوه، أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه: عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت. ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام: وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى. وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور .

-1- جـ - مفهوم الوحي عند مالك بن نبي:

استسقى مالك بن نبي تعريف الوحي من بعض علماء الدراسات الإسلامية، الذين ذهبوا إلى أن مصطلح (وحي) الذي يطلقه القرآن على هذه الظاهرة إنما يعبر عنه بالكلمات (Intuition المكاشفة أو الوحي النفسي) أو (inspiration الهام)، لكن هذه الكلمة الأخيرة ليس لها أي مدلول نفسي محدد، مع أنها مستخدمة عموما كي ترد معنى الوحي إلى ميدان

[1] - مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ص 177.

علم النفس. أما الكلمة الأولى فلها عكس المدلول، لكنه لا يتفق مع الأحوال الظاهرة الملحوظة لدى النبيﷺ، في حالة التلقي التي يعانيها أثناء نزول الوحي.

من ناحية أخرى تعرف المكاشفة أو الوحي النفسي من الوجهة النفسية بأنها: "معرفة مباشرة لموضوع قابل للتفكير، أو خاض فيه التفكير فعلا" بينما يجب أن يأخذ الوحي معنى: "المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لا يشغل التفكير، وأيضا غير قابل للتفكير" لكي يكون متفقا مع اعتقاد النبي، ومع تعاليم القرآن، فمن المفيد إذن أن ندرك نوع الظاهرة التي يمكن أن تكمن خلف لفظة الوحي. ونظيف أيضا أن المكاشفة لا تصحبها آية ظاهرة نفسية بصرية أو سمعية أو عصبية كتقلص العضلات الذي نلحظه في حالة النبيﷺ.

لقد أعطانا مالك بن نبي مجموعة التعاريف التي وضعها بعض الدارسين ووجهها من خلال فكره واعتقاده، فأنكر أن يكون الوحي نتاج تفكير وإعمال ذهن أو أن يكون الوحي قد خاض فيه التفكير فعلا، إنما أكّد هذا الأخير أن الوحي تلقائي المعرفة لا يشغل التفكير. وهو يرى أن المكاشفة لا تحدث في حظور اليقين الكامل بل أورده إلى نصف اليقين، وقد شبهه بـ(الإحتمال)، لأن الإحتمال معرفة يأتي برهانها بعدها.

فمالك بن نبي يؤكد أن يقين النبي كان كاملا مع وثوقه أن المعرفة الموحى بها غير شخصية وطارئة وخارجة عن ذاته. قال تعالى﴿ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ 67 أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ 68 مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ 69 إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ 70﴾ [ص: 67-70]، إذ تؤكد الآيات عظم الوحي وينكر في الوقت نفسه أن للنبي أي تصرف إنما هو مأمور يطبق ما أمر به فقط وهو يثبت هنا معجزة الوحي، فتكون بذلك هذه الآية حجة للنبي يرد بها كيد المكذبين والطاعنين في ما جاء معجزة من رب العالمين.

إن قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ 44﴾ [آل عمران: 44] ، يعطي معنى كشف الغيب للنبي من خلال الوحي لا من ذاته وارهاصاتها كما ادعى عليه من الكفار.

-2- صور الوحي:

صور الوحي ثلاثة وقد ذكرها الله تعالى في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ 51 ﴾ [الشورى: 51] ، وفيما يأتي بيان لكل صورة من الصور الثلاث بشيء من التفصيل.

-2- أ- الوحي المباشر: الوحي المباشر وهو بمعنى الإلهام أوالنفث في الروع والقلب، وهو يختلف عن الإلهام الفطري أو الغريزي بعدة أمور نبينها على النحو الآتي:

أمر خارجيٌ ليس نابعاً من الذات. خاص بالأنبياء دون سواهم. معلوم المصدر وليس من وسوسة الشيطان.

-2- ب- الكلام من وراء حجاب: كلّم الله تعالى نبيه موسى -عليه السلام- من وراء حجاب وقد دلّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ 30 وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٰمِنِينَ 31﴾ [القصص: 30-31]

-2- ج- الوحي عن طريق رسول: ويُقصد بالرسول جبريل - عليه السلام-، وقد كان يأتي على حالتين:

أوّلهما: كان جبريل - عليه السلام- يأتي على صورة شخص معروف كما أتى على صورة الصحابي دحية الكلبي - رضي الله عنه-، أو على صورة شخص غير معروف.

ثانيهما: كان جبريل - عليه السلام- يأتي على الصورة التي خلقه الله تعالى عليها، وقد جاء إلى رسول الله ﷺ بهذه الحالة مرتين؛ إحداهما في أيام الوحي الأولى، والأخرى في رحلة الإسراء والمعراج.

-3- الخصائص الظاهرية للوحي من حيث هو معجز[1]:

يتميز القرآن بخاصتين أساسيتان هما:

- نزوله منجما.

- وحدته الكمية.

-3-أ- تنجيم الوحي[1]:

من المعلوم أن الوحي نزل منجما على فترات زمنية متقطعة ومتفاوتة في الطول والقصر حسب أغراض دينية وتشريعية وأخرى إيحائية عديدة، إن الأمر لم يكن يمر على النبي بسهولة، فقد كان يمضي عليه نزول الوحي الفترات الطوال من الانقطاع. إن تماطل الوحي كان يلم بالنبي الألم والحزن. إنه أمر صدقه و تمناه و جهر به ، وإن الذين سمعوه أكثرهم لم يصدقوه، بل وحاربوه. و انقطاع الوحي فرصة لهم ليحاجوه.

إن نزول الوحي منجما لفيه من الأسرار الكثيرة التي لم تدرك في حينها إلا بعد انقضاء أمرها. إن هذه الأسرار والمعاني البليغة لها من الحكمة والمكنونات الغيبية ما يدلل معجزة هذا الوحي وأنه فوق قدرة أي بشر. نذكر بعض أهدافه المعجزة نوجزها كما ذكرها بن نبي في كتابه:

- **تقرير أمر:** قرار هجرته ﷺ، فقد هاجر كل من آمن في دفعات خوفا من بطش قريش، لكن سيدنا محمد ﷺ لم يتمكن من أن يهاجر، لأن الأمر لم ينزل صراحة باسمه مباشرة، لذلك بقي رغم معاناته من الويلات، جراء ظلم قريش. إلى أن نزل الوحي الأمين بالتسريح من رب العالمين. فانطلق وصاحبه إلى من يؤازره ويرفع شتاته ويسلم لهذا الدين .

- **نصرة من ظلم:** حادثة الإفك والتي اتهمت فيها أمنا عائشة بالفاحشة. إن الأمر فوق ما يحتمله أي بشر، فكيف إن كان خير البشر وسيدهم. لقد ظل الوحي منقطعا لمدة شهر، وقد أصاب سيدتنا عاشة ما أصابها، هي و أبوها أبا بكر من العار والخزي، وما أصاب نبينا من الحسرة والألم. وقد نزل الوحي بعد شهر، بعد أن برز للعيان المبغضون والحاقدون الذين

[1] - مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ص177.

أرادوا النيل من شرف السيدة عائشة. فكشفت بذلك المكيدة، وبرأت أم المؤمنين بحق من الأرض ومن السماء.

وهذا فيض من غيض. و هي قطرة من بحر نتوصل من خلاله إلى التأكيد على معجزة هذا الوحي وعجز البشر من الرد عليه.

-3- ب - أهمية التنجيم:[2]

نختصرها في النقاط التالية:

- القيمة التربوية: فتلك في الواقع الطريقة التربوية الوحيدة الممكنة، في حقبة تتسم بميلاد دين، وبزوغ حضارة.
- اليقين من العناية الإلاهية: وسيهدي الوحي خلال ثلاثة وعشرين عاما سير النبي وأصحابه خطوة خطوة نحو هذا الهدف البعيد، فهو يحيطهم في كل لحظة بالعناية الإلاهية المناسبة. فهو يعزز جهودهم العظيمة، ويدفع أرواحهم وإرادتهم نحو هدف الملحمة الفريدة في التاريخ، فيكرم بآية صريحة قضاء شهيد أو استشهاد بطل، فيزيد اليقين بوجود خالق وحيد هو من يدعم هذا الدين.
- مخاطبة الطبيعة الإنساني:

1- جعل لكل ألم عزاءه.

2- أرسل لكل تضحية جزاءها.

3- وجعل لكل نصر درسه في الإحتشام.

4- جعل لكل عقبة إشارة إلى ما تقتضيه من جهد.

5- ولكل خطر روح التشجيع اللازم للمواجهة.

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ، ص 179.

[2] - المصدر نفسه، ص180.

-3-جـ - الوحدة الكمية:[1]

إن القرآن بمجمله يمثل وحدة كمية ثابتة لا متغيرة، بمجموع آياته وسوره، وحسب مايقول مالك بن نبي: فإن للوحي مقياسا متغيرا هو: كميته أو سعته، تلك السعة التي تتراوح بين حد أدنى هو الآية، وحد أقصى هو السورة.[2]

-3- د- الوحدة الكمية عند مالك بن مالك:

مفهوم وحدة التنزيل عند مالك بن نبي: (وحدة التنزيل هي مجموع الآيات المتتابعة التي تسهم في اكتمال فكرة واحدة، وهذا العدد يمكن أن يهبط إلى الحد الأدنى، في آية واحدة، ويمكن أن يرتفع إلى الحد الأقصى في سورة كاملة).[3]

ثانيا-أوجه الإعجاز في الوحي:

إن القرآن بمجمله يمثل وحدة كمية ثابتة لا متغيرة، بمجموع آياته وسوره، وحسب مايقول مالك بن نبي: "فإن للوحي مقياسا متغيرا هو: كميته أو سعته، تلك السعة التي تتراوح بين حد أدنى هو الآية، وحد أقصى هو السورة". إن هذا المقياس الخاص يؤكد مجموعة من النقاط قد تطرقنا إليها من قبل والمتمثلة في :

- حالة التلقى عند النبيﷺ: أي أن الذات المحمدية لا ترد بذات الوحي، فهي كجهاز الإرسال تستقبل الذبذبات الإلكترونية ، وترسلها إلى المستقبل دونما تصرف.

- انعدام الإرادة النبوية مؤقتا: فهو في لحظة الوحي لا يتمكن حتى من أن يستر ملامح وجهه المتوشح عرقا المحتقن من قوة الوحي.

- انعدام الإرادة النبوية: فلا يمكن لبشر أن يكون له القدرة على التفكير البالغ الدقة في التنظيم والتنسيق، إذا ما قورن بذات الوحي ومالها من قوة وقدرة في التنبؤ، والتصرف في المكان والزمان المناسبين، والأحداث من خلال السيرة تؤكد هذا الأخير. وإذا ما افترضنا أن للذات المحمدية دور في الوحي فإن الوقت لا يكفي هذا البشر لكي يحلل ويستنتج ويقرر،

[1] مالك بن نبي، الظاهرة القرانية،: ص 182.

[2] المصدر نفسه ، ص 183.

[3]- المصدر نفسه ، ص: 183

وفي الأخير يكون قراره في هذه القمة من العبقرية الفريدة من نوعها. وهن يقول مالك بن نبي:" ماذا نقول في فكرة لدى إنسان لم يفكر فيها، ولا يمكنه أن يفكر فيها، في الحالة الخاصة التي يعانيها؟ وماذا نقول في هذا النسق المتصل لتعاليم تؤديها هذه الفكرة، حين لا يتأسس هذا النسق المتصل لتعاليم تؤديها هذه الفكرة، حين لا يتأسس هذا النسق على إرادة وتفكير منظم؟"[1]

– انعدام الوسائل المادية التي تؤكد انفصال الذات النبوية عن ذات الوحي: فأننا وإن قلنا أن النبي قد كانت له بعض الأفكار أو الإرهاصات أو العبقرية الفذة كما يدعون. فإن الوسائل التي يملكها لا تمكنه من التفكير الدقيق، والتوجيه المناسب في الوقت والمكان المناسبين. فهو لم يكن إلا راعي غنم طوال طفولته إلى شبابه، ورغم زواجه فإنه لم يمتهن غير التجارة، التي هي الأخرى لم تخرج عن حدود حمى قريش. فأنى له الوسيلة والحيلة التي تمكنه هذه الدقة في الاستنتاج ، وهذا النبوغ النادر والتحليل والبرهان؟ إنه للعاقل حقا محال.

– خروج أفكار الوحي عن حدود المكان والزمان: إن الذي يتدبر في القرآن يجد أنه يتحدث أحيانا عن أمور لم تكن تنتشر زمن الوحي، وليس لبشر أن يستلهمها. ومن أمثلة ذلك تحذير النبيﷺ المسلمين من فتنة الدجال، وعن أقوام خارج حدود قريش، لم يكن للنبي أي علم بهم أو بثقافاتهم وأخبارهم. وأبلغ مثال: قصص بني إسرائيل، وهي كثيرة في القرآن الكريم. وهو وجه جلي للإعجاز لا يمكن حجبه عن العيان.

ومن خلال هذا العنصر سنتتبع نقاط الإعجاز التي ركز عليها مالك بن نبي، لنحكم على صلة الوحي بالذات المحمدية.

[1]– مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ، ص: 183.

1 – أوجه الإعجاز في القرآن من خلال الوحي:

لقد تعددت هذه الأوجه واختلفت حسب هدفها ونوع الرسالة التي توجهها إلى المخلوقات ونذكر منها على العموم لا على الحصر:

1 – أ– الإعجاز النفسي (الروحي) [1]:

الإعجاز النفسي نوع من أنواع الإعجاز الذي يخاطب المشاعر ويسمو بها إلى آفاق بعيدة. فالإعجاز في آي القرآن، هو ما تلمحه في آيات القرآن من أصناف الناس، ومواقفهم، وخفايا نفوسهم، ودوافعها[2].

إذ يؤكد – بن نبي– أن الإعجاز يتعلق بالجانب النفسي فيعبر عنه بقوله :"لأن القضية تتعلق هن بالتركيب النفسي الذي عليه الإنسان من جهة إنه إنسان يدرك الأشياء بعقله، مع ما في عقله من عجز عن إدراك حقيقة الدين مباشرة، إن لم يكن هناك حجة خاصة. تستند تلك الحقيقة لدى عقله في صورة (إعجاز). فالأسباب تتكرر وإنما يتغير شكلها نظرا لما حدث من تطور في الظروف النفسية والاجتماعية حول الدين الجديد في البيئة التي ينشر فيها "[3]. ويقول:" ولكن المسلم اليوم قد فقد فطرة العربي الجاهلي وإمكانيات عالم اللغة في العصر العباسي وعلى الرغم من هذا فإن القرآن لم يفقد بذلك جانب (الإعجاز)، لأنه ليس من توابعه وإنما من جوهره، وإنما أصبح المسلم مضطرا إلى أن يتناوله في صورة أخرى وبوسائل أخرى، فهو يتناول الآية من جهة تركيبها النفسي الموضوعي، أكثر مما يتناولها من ناحية العبارة"[4]

وإن للنفس سبع علامات: النفس اللوامة والأمارة والمطمئنة والملهمة والراضية والمرضية والكاملة.

---

[1] - بلقاسم محمد الغالي، ملامح الإعجاز النفسي في القرآن الكريم، ص11.

[2] – المرجع السابق، ص: 11.

[3] مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ص: 65.

[4] المصدر نفسه، ص: 65.

1- أنواع الأنفس التي خاطبها القرآن الكريم:

فهي توجز في:

النفس الأمارة بالسوء: تسيطر عليها الدوافع الغريزية، وتتمثل فيها الصفات الحيوانية، وتبرز فيها الدوافع الشريرة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ 53﴾ [يوسف: 53] .

النفس اللوامة: وهي النفس التي تبرز فيها قوة الضمير، فيحاسب الإنسان نفسه كما يحاسب غيره، ولهاذا أقسم الله تعالى بالنفس اللوامة: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ 2﴾ [القيامة: 2] .

النفس المطمئنة: هي النفس التي استوعبت قدرة الله وتبلور فيها الإيمان العميق، والثقة بالغيب، لا يستفزها خوف ولا حزن، لأنها سمت إلى الله واطمأنت بذكر الله، وأنست بقرب الله، فهي آمنة مطمئنه، تحس بالاستقرار النفسي والراحة النفسية، والشعور الإيجابي بالسعادة، فحق لها أن يخاطبها رب العالمين، بقوله: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ 27 ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ 28﴾ [الفجر: 27-28] .

2- المعاني المتعلقة بكلمة النفسكما ورد ذكرها في النص القرآني:

لقد ورد ذكر كلمة النفس في القرآن الكريم 367 مرة على عدة معاني نذكرها كما يلي:

دلالة على الإنسان: لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ 48 ﴾ [البقرة: 48] ﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ 233 ﴾[البقرة: 233] .

الإشارة إلى ضمير الإنسان: فقد أخبر الله الناس في القرآن أنه هو أعلم بحالهم وهو أعلم بما يختلج في أنفسهم، بقوله تعالى:﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ

إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ 16﴾ [ق: 16]، وقوله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ 284 ﴾[البقرة: 284]

3- خصائص النفس الإنسانية كما جاءت في القرآن الكريم:

ا- **النفس هي المكلفة شرعا:** قال تعالى ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ 231 ﴾ [البقرة: 231].

ب- **النفس هي التي تشعر وتحس وتتألم:** قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ 58﴾ [العنكبوت: 58].

ج- **النفس هي التي يلهمها الله دوافع الخير ونوازع الشر:** قال تعالى: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا 8﴾ [الشمس: 8]

د- **النفس هي المبصرة:** قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ 14 ﴾ [القيامة: 14]

هـ- **النفس تتعلم:** قال تعال﴿ وَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ 8﴾ [الروم: 8]

و- **النفس تشعر بالحاجة والدوافع:** قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ 68﴾ [يوسف: 68] .

4- الإعجاز النفسي في الدراسات السابقة:

لقد اهتم بالإعجاز النفسي القدامى والمحدثون ونذكر منهم:

الخطابي (388هـ): وسماه بتأثير القرآن في القلوب " وفي إعجاز القرآن وجه آخر، ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس".

فخر الدين الرازي(606هـ)[1]: المعاني التي يشتمل عليها القرآن فهي أحوال لائقة بجلال الله، فمن وقف عليها عضم الولاؤه في قلبه". ويرى أيضا أن قوة نفس القائل تعين على نفاذ الكلام إلى الروح فالقائل هو رب العزة، وذلك لأن كلامه أنفذ، لأن مداره على الحق والهدى".

كما أشار **سيد قطب** للإعجاز النفسي في كتابه – التصوير الفني للقرآن الكريم– " لقد كان خيالي الساذج الصغير يجسم لي بعض الصور من خلال تعبير القرآن، وانها لصور ساذجة، ولكنها كانت تشوق نفسي وتلذ حسي"[2]. فعبر بكل بساطة عن عميق الأثر النفسي الذي تركه القرآن في نفسه فكان قائده وغايته في شبابه.

وفي رأي بعض الباحثين أن هذا الضرب من الإعجاز أثر من آثار فنية الكلام، التي تملؤ على الناس قلوبهم. وليس من اليسير تحديده إلا من قبل الوقوف على بلاغة القرآن، وكيف أنه انتظم على هيأة تملك على الناس أفئدتهم، ومشاعرهم، إلى الحد الذي يتحول فيه قاصد القتل والإنتقام إلى داخل في الإيمان، عن رضى واقتناع وطواعية[3] .

---

[1] - هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسين بن علي الرازي، الطبرستاني القرشي التيمي، الشافعي الاشعري، الملقب بفخر الدين الرازي، هو امام مفسر اصولي، عالم موسوعي، امتدت دراساته وبحوثهمن المؤلفات اللغوية والعقلية إلى العلوم: الرياضيات والفيزياء، الطب والفلك.

[2]– سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم. ط20،دار الشروق، 2013،، ص: 11

[3]– عبد الرؤوف مخلوف: الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن دراسة تحليلية ونقدية، منشورات دار مكتبةالحياة، 1978)، ص: 52.

II – 1 – ب– إثبات أعجاز القرآن من خلال موضوعات الرسالة كما ذكرها مالك بن نبي[1]:

يقول عزّ وجل﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ 38﴾ [الأنعام: 38] وهي شهادة العلي العليم رب العالمين على الكتابة الكريم إنه ما ترك من شيء من أمور الدنيا والآخرة إلا جاء بتفصيلها، فمن الأمور المعجزة في الرسالة مضمونها الذي سنورده في بعض الموضوعات، نلخص من خلالها المعجز من الوحي كما حدثنا عنه مالك بن نبي ونثري القول ببعض الشواهد من القرآن والسيرة:

- **معجزة الرزق:** قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ 16﴾ [لقمان: 16]، نظر الله –عز وجل – إلى مكنونات الأنفس وأدرك أن أكبر هاجس يؤرق الإنسان هو الخوف من الشح في الرزق، فمن خلال رسالته المتمثلة في الوحي القرآني يعلم الخلق أن الرزق من رب العالمين، وحتى لو كان رزق الإنسان في أعماق البحار، فهو إن كتب له يصله في أي حال، وهو نوع من الإعجاز لا يبلغه مخلوق قط، فإن أراد الله رزق وإن أراد منعه، فكل ما عليها له وحده ﷻ.
- **معجزة خلق الكواكب والنجوم:** قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ 36 ﴾ [يس: 36] قد اختار الله سبحانه وتعالى الحركة الدائرية لحفظ الأقمار حول الكواكب، والكواكب حول النجوم، والنجوم حول مراكز المجرات، والمجرات حول مراكز عناقيد المجرات، ولكن بما أن هذه المتوالية لن تستمر إلى ما لانهاية بسبب محدودية حجم هذا الكون كان لا بد من وقفها، وهذه قوة فوق قدرة أي مخلوق.إذ أن الله ببصيرته أدرك الحيرة التي تنتاب الإنسان خلال نظره إلى الكون، وتأمله في الشمس والقمر والنجوم ، وما يهتاج في

[1] - مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ص 195.

نفسه، لما لها من عظيم دهشة في حقيقة هذا الخلق، ومدى قوته ومصدره، فجاءه القرآن ليرفع عنه هذا الغموض ويسد بابا على هذه النفس المتأملة الشاردة.

- **معجزة استحضار ما كان من الأمم السابقة:** قال تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ 3 ﴾ [يوسف: 3] أي أن الله هو من يقص على النبي قصص الأولين، وهو يؤكد انفصال الذات المحمدية عن ذات الوحي. قال سبحانه ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ 120 ﴾ [هود: 120]. والآيات التي تدلل على أن الله يقص على النبي القصص كثيرة ولها أهداف متعددة تخاطب مكنونات الذات البشرية الخفية لترفع عنها الظلام، ظلام الجاهلية، ولتنير لها درب الهداية،ولتنذرها عاقبة التردي والتكذيب. إنه أمر كالسحر لا يمكن أن يطلع عليه بشر دون رب العالمين.

أعطى مالك بن نبي مثالا عن إعجاب البشر من غير المسلمين بهذا الوحي وصدمتهم من عظيم مافيه إذ قال: " هذا صدى متفجر من قلب الكون نفسه".[1] لقد تكلم من منطلقه الفلسفي بكل عفوية تدلل على ما وجده في نفسه من هذا الوحي جعله يذعن للاعتراف بعظمة هذا الأمر.

- 1 – جـ – بيان إعجاز النص القرآني من خلال لغته و بلاغته[2]:

كما ذكرت آنفا، فإن المجاز نوع من أنواع الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، وقد خصص له مالك بن نبي نوع من الدراسة أحاطها بالتحليل والشرح:

فهو يرى أن العبقرية البلاغية تعبرعن المسوى الفكري والثقافي لكل أمة، كما تعبر الطبيعة بمكنوناتها عن خصوبتها أو بوارها، وهكذا تضع الأرض طابعها على الأدوات البلاغية التي يستخدمها كل شعب ليعبر عن ذاته وأفكاره .وهذا الكلام بطبيعة الحال يعبر عن القرآن الذي يعكس الطبيعة الصحراوية والعنصر البشري العربي.

[1]– مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ، ص: 195.

[2] - المصدرؤ نفسه، ص 294.

وأن العربي بطبيعته لا يؤثر فيه إلا مزاجه والذي يحدد أسلوبه ومدى بلاغته، وأعطى بن نبي مثالا على ذلك بيت شعري لؤمرء القيس وهو يصف فرصه[1]:

مكر مفر مقبل مدربر معا كجلمود صخر حطه السيل من علي.

فهو استخلص من الطبيعة ما يمكنه من اطراء فرسه وأحاطها بوصف يلم بحقيقة أمرها، ولأن الوسط الذي ينتمي إليه وسط عربي، فقد طبع بطابعه واستوحى بلاغته من لسانه.

إن القرآن الكريم رغم أنه أنزل في بيئة صحراوية بدوية، إلا أننا نجده يستمد عناصر بلاغته من مناطق مختلفة وبيئات وأجواء متباينة.

أعطى بن نبي مثالين من صورة النور لتوضيح هدفه من هذا العنصر:

المثال الأول: قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا ممكرم وإيحاءات خادعة، تعكس ما يلهمه المجاز من كثير المعاني وبليغ أسلوب، فليس ما نلاحظه من إعجاز في الآيات القرآنية المتمثلة في الوحي سوى مانجده في الآية من بلاغة.

المثال الثاني: قوله تعالى﴿ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠ ﴾ [النور: 40]، إن هذا المجاز يترجم عكس سابقه طبيعة لا علاقة لها بأجواء الصحراء وسكونها. إنه بذلك يتعدى الحدود الجغرافية ليرحل بنا إلى آفاق أخرى، لا يمكن للمرئ أن يتصورها وسط بحار أو ضمن كثيب من الضباب او ومضات من البرق وسط تيه من الظلام..وغيرها من المظاهرالطبيعية . ولعل من الصعب أن ندرك هذا الرعب الممزوج بالخوف والضلال، ويبرز بن نبي ما يظهر من هذا المجاز:

- الإشارة الشفافة إلى تراكيب الأمواج.
- الإشارة إلى الضلمات المتكاثفة في أعماق البحار.

[1] امرئ القيس بن حجر بن الحارث من بني آكل المرار(ت 545م)، ديوان امرؤ القيس، اعتنى به : عبد الرحمان المصطاوي،ط2، دار المعرفة، بيروت، 2004م، ص: 12.

إن هذا الوصف يلزم معرفة بعلم أعماق البحار وجغرافية المحيطات ودراسة البصريات و علوم الطبيعة، وهذا لم يكن موجودا في ذلك الزمان، وعلى ذلك ما كان لنا أن ننسب المجاز إلا لذات الوحي لا لذات إنسانية يحصرها الزمان والمكان.

2- الإعجاز من خلال القيمة الاجتماعية لأفكار القرآن[1]:

إن أهم ما خاض فيه القرآن هو الإنتماء الإجتماعي أو العنصر الإجتماعي، لأنه أول عنصر سيرفض الرسالة ويهاجم النبوة بقوة، لذلك كان على هذا الأخير أن يجد الوسيلة لرد هذه العقبة. وذلك من خلال دراسة أفكار المجتمع واقتناعاته وتوجهاته. ولعل من بين الأمور السائد في الطبيعة العربية الصحراوية ظاهرة كان على القرآن أن يتصدى لها، وهي ظاهرة (الخمر). إن زمن الوحي كان الخمر بالنسبة للعرب فريضة، وكان من المحال التخلص من هذا السلطان في تفاصيل هذا العنصر البشري.

لقد كان للوحي وسائله وأدواته، فالله يعلم مكنونات عباده ومفاتيحهم، وهو ما يؤكد ربانية الوحي واستقلاله. لقد تتبع الوحي تخطيطا نفسيا وتشريعيا يراعي فيها التسلسل في التشريع ما لا يشق على قلب بشر كما يأتي:

- قال تعالى﴿إِيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ 219 ﴾ [البقرة: 219]

- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ... 43 ﴾ [النساء: 43]

- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ 90 ﴾ [المائدة: 90].

هكذا كان التدرج في التشريع. فكانت سياسة القرآن مع العنصر البشري التدرج في الحكم كي لا يشق عليه الأمر، فيترك الحكم و يقع في الإثم، هكذا كان القرآن في تعامله مع حرمة

[1] مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ص297.

الخمر، فقد أحاطه بالتحذير ثم النهي إلى أن انتهى إلى التحريم، فمنذ أن شرع تحريم آفة الخمر لم يعد لهذه الآفة أثر في البلاد الاسلامية، على عكس البلدان الغربية. فكيف كان لهذا الوحي أن يوثق وثاقه على هذا الإنسان، ويحكم زمامه على هذه الإرادة؟. لا مجال للنقاش، إنه المنهج والأسلوب السليم في التعامل مع هذا العنصر البشري. فلا يمكن أن يتصور أن لبشر هذه القوة على التسيير وإن بلغ من العبقرية الذروة. ولقد علمنا في العظماء توابع، تنتهي سننهم بانتهاء حياتهم، أو سقوط سلطتهم، وهن ليس لنا إلا أن نقر أن الوحي معجز بكل حذافيره وتفاصيله.

ثالثا- الفرق بين ماجاء في النص القرآن وسفر التكوين[1]:

لإدراك هذه النقطة طرق مالك بن نبي بعض الأبواب:

- 1- مفاهيم غيبية يتقبلها العقل دون أن تدركها الحواس:[2]

ونقصد هنا ما لا يمكن للعقل البشري أن يحاط بعلمه أو أن يدركه ببصره، فهو فوق قدرته البشرية خارج عن طبيعته الإنسانية، يمكن أن يستوعبها بفهمه و تمعنه من خلال وسيط (النبي)، لكن لا يمكن أن يحيط بها بعقله و بصره ، أو أن يستلهمها بفكره بمفرده.

قال تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ 1 ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ 2 لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ 3 وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ 4﴾ [الإخلاص: 1-4]، إنها سورة صغيرة لكن لها معاني كبرة، فالسورة هنا تثبت الله الحق المتفرد بالربوبية المتعالى على أي بشر ليس له شريك ولا نظير. لقد رد باختصار على المسيح واليهود وعلى ما إدعوا من ثلاثية الإلاه وأن له ولد يشاركه الملك وأن له نظير في الملك... وغيرها من التلفيقات التي أوردوها ليضلوا الناس عن عبادة الله الواحد الأحد. فقد وجد في سفر التكوين: (ورأى حالما وإذا أسلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهو ذا الرب واقف عليها أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق) سفر التكوين- الفصل الثامن والعشرون- الفقرتان 12و 13. فهو من خلال

[1] - مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ص 199.

[2]- مالك بن نبي، الظاهرة القرانية، ، ص: 200.

هذه الرؤيا يؤكد وحدانية الله التي حولوها إلى مجرد حركة قومية استنكرها الأنبياء منذ (عاموس) إلى (أشعياء) ليؤكدوا الربوبية المطلقة لله. أما المسيحية فقد زادت العدد لكي تنشئ عقيدة جديدة دينية ثالوثية. بينما قرر الوحي القرآني أن يجعل قانونا للتوحيد أسماه: (الله واحد أحد، مخالف للحوادث، رب للعالمين) . فأخرج بهذه الطريقة الحاسمة ذات الله جل شأنه من نطاق الأنانية اليهودية، والتعدد المسيحي.

- 2- مفاهيم متعلقة بما بعد الموت (أخرويات):[1]

إذا تكلمنا على الأخروات فإنه سيتولد في فكرك التوحيدي مجموعة من النقاط: نهاية العالم أو فناء العام، يوم الحساب، الجنة، النار...لأنها نقاط لم يلقي لها من الديانات العبرية بالا مع رسالة الغفران والقومية الإسرائيلية، إنهم لم يلقو لها بالا واسعا، في حين أن القرآن قد أدى لها ما أدى ووصف فيها وصفا عظيما، قال تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ 4﴾ [المعارج: 4]، إنه وصف مرعب،أنى للبشر القدرة أن يتصور خمسين ألف سنة في يوم واحد أو هول عروج الملائكة، وقوله تعالى: ﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب13 ﴾الحديد 13. وهن تظهر مرتبة السعداء والأشقياء. إنه أمر يرهق النفس ويتعبها إذا ما علمت أنها إما أن تفنى في الجنة أو أن تحترق في النار.

- 3- كونيـــات:[2]

في سفر التكوين: (وقال الله ليكن نور فكان نور) سفر التكوين – الإصلاح الأول- فقرة4.أي أن الله من يقول للشيء كن فيكون. فالقدرة لله وحده، التكوين والخلق، وليست لغيره من خلقه، وهذا ما لا يمكن لأي مفكر عالم أن يبرهن عليه تجريبيا، فهو من الخوارق الغيبية.

[1] المصدرنفسه ، ص: 203.
[2] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص: 205.

يجيب الطبيعيون: تؤول المادة في تحليلها إلى طاقة، ولكن: ألا يمكن أن تفسر كلمة (الله) نفسها بنوع من الطاقة، الطاقوة في أعظم أشكالها؟

4- الأخلاق:[1]

إننا في عصر أخلاق المادة، الأخلاق يعني التصرف الذي تتوصل من خلاله إلى فائدة، ولا مكان للأمور الإنسانية في المعاملات، إلا في القليل من المواقف التي تنطق فيها الفطرة البشرية محطمة قيود المادية. وقد حاول اليهود و النصارا أن يجدوا مكانا لهذه الأخلاق في كتبهم و توصياتهم، فيرفعون أصواتهم بالحق والخير والمحبة ونبذ الشر، وفي المقابل ينفون القدرة على مواجهة هذا الشر.

لقد أسس الإسلام في البداية أساسا متينا للأخلاق، فهاذا عمر يسأله رجل كيف يدعوا لهذا الدين؟ فأجابه الفاروق دونما تأخير: كن خلوقا هذا يكفين.

5- الاجتماع:[2]

﴿مِنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا31 ﴾ [المائدة 31]

لقد اعتنى القرآن بالجانب الاجتماعي و سن له العديد من القوانين في تحريم القتل والخمر و الكذب وسن آداب الإستئذان و غيرها من القوانين التي تمنح المسلم الراحة و الحرية اللازمة في التعايش مع الآخرين.

رابعا- تاريخ الوحدانية:[3]

لقد تعاقبت الديانات والكتب السماوية منذ إبراهيم عليه السلام إلى محمد ﷺ وجميعهم ينادون بنقطة مركزية ويبنون على أساسها كل القيم ويضعون الموازين وهي التوحيد. وهو الأمر الأساس الذي يدور حوله الحوار وينصب من حوله التلفيق يتدرج في المسائل إلى أن يصل

[1] المصدر نفسه، ص: 207.
[2] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص: 209.
[3] المصدر نفسه، ص:210.

إلى التشكيك في الخلق والمخلوق والمآل والميعاد، وغيرها من ما يمليه ويلغيه المتشيطنون. فالتشابه بين الأديان عميق وبليغ وما جاء به محمد ﷺ ماهو إلا إرساء لنقطة مركزية لحقها التشكيك والتشويه، واعتبر بن نبي أن قصة يوسف أكبر برهان يؤكد المقال ويلفت الأنضار إلى ماكان من تزوير في المقال و تحريف في الأقوال.

خامسا – قصة يوسف في النص القرآني وسفر التكوين[1]:

لأسباب يسيرها الله من فوق سبع سماوات بقيت دلائل في الكتاب المقدس تؤكد صدق ماجاء به القرآن وتطابقه مع مافي الكتاب المقدس من أخبار رغم ما وصل إليه هذا الكتاب من تزييف وتلفيق. وضع مالك بن نبي جدول وضح فيه تفصيل قصة يوسف عليه السلام في القرآن وقارنها بنظيرتها في الكتاب المقدس ليبين صحة ما سبق وقيل، وسنورد جزءا مما ذكره مالك بن نبي لتبيان نقطة الإعجاز فلا حاجة لدينا لذكر القصة مفصلة [2]:

- 1- استخلاص نقاط الإعجاز من خلال المقارنة بين الكتابين:

من خلا ل الجدول التوضيحي الذي وضعه مالك بن نبي يمكن أن نستخلص:[3]

-رواية القرآن تنغمر في مناخ روحاني نشعر به في مواقف وكلام الشخصيات المحركة للمشهد، إذ تهز مشاعر القارئ وتجعله يتفاعل مع القصة ويتأثر بمتغيراتها، فنجد سيدنا يعقوب من خلال خطابه مع أبنائه، القدر الكبير من المشاعر والحنو والمراعاه، فنضرا لخوفه على مشاعر أبنائه وخوفه من أذيتهم لأخيهم، منع يوسف من مصارحتهم بحلمه. كما يمكن أن نتلمس مشاعر الحقد والحسد في قلوب إخوته إتجاهه. نستشعر الوحشية التي قاموا من خلالها برمي أخيهم في البئر ثم بيعه ونتصور الجدال الذي حصل بينهم.

- في المقابل نجد الرواية الكتابية تبالغ نوعا ما في وصف الشخصيات وصفا أقل جودة تحس من خلاله الركاكة وانعدام الدقة.

[1] المصدر نفسه، ص 252..
[2] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ، ص:211.
[3] المصدر نفسه، ص: 252.

- بالإضافة إلى الأخطاء التاريخية التي تبرهن التزييف وتدخل البشر في صياغة هذا النص، فقد جاء في الكتاب المقدس: (بأن المصريين لا يجوز لهم أن يأكلوا مع العبرانيين لأنهم رجس عند المصريين). فلا يمكن لنص رباني أن يدعوا إلى التمييز العنصري، وهذا خطأ واضح له من الأهواء النفسية، والميولات، والدعوة إلى إحياء الأحقاد ما لها، وحاشاه الوحي بأن يأتي بهذه الآفات والأمراض في سطوره.

- الرواية الكتابية تكشف أيضا عن أخطاء تاريخية تثبت (صفة الوضع التاريخي) كما وضحنا آنفا.

القصة القرآنية	القصة الكتابية
بسم الله الرحمن الرحيم **1- (الر. تلك آيات الكتاب المبين)** **2- (إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)** **3- (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين) .** **4- إذ قال يوسف لأبيه يا أبتي إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) .** **5- (قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين) .** **6- (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من**	(الفصل السابع والثلاثون) 1- وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان 2- وهذه مواليد يعقوب لما كان يوسف ابن سبع عشرة سنة، وكان يرعى الغنم مع إخوته وهو مع بني بلهة وبني زلفة إمارتي أبيه، أخبر يوسف أباهم عنهم بريبة شنيعة. 3- وكان إسرائيل يحب يوسف على جميع بنيه لأنه ابن شيخوخته فصنع له قميصا موشى. 4- ورأى إخوته أن أباه يحبه على جميع إخوته فأبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام. 5- ورأى يوسف حلما فاخبر إخوته به فازدادو كراهية له. 6- قال لهم اسمعوا هذا الحلم الذي رأيته. 7- رأيت كأنا نحزم حزما في الصحراء فإذا حزمتي وقفت ثم انتصبت فأحاطت به حزمكم وسجدت لحزمتي.

تاويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق إن ربك عليم حكيم) **7- (لقد كان ليوسف وإخوته آيات للسائلين)** **8- (إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ظلال مبين)**	8- فقال له إخوته: لعلك تملك علينا أو تتسلط علينا، وازدادوا أيضا حنقا عليه لأجل أحلامه وكلامه. 9- ورأى أيضا حلما آخر فقصه على إخوته وقال: رأيت حلما أيضا كأن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لي. 10- وإذ قصها على أبيه وإخوته فزجره أبوه وقال ما هذا الحلم الذي رأيته أترانا نجيء أنا وأمك وإخوتك فنسجد لك إلى الأرض...؟. 11- فحسده إخوته وكان أبوه يحفظ هذا الكلام 12- ومضا إخوته ليرعو غنم أبيهم عند شكيم 13- فقال إسرائيل ليوسف هو ذا إخوتك يرعون إلى شكيم هلم أبعثك إليهم. قال: هانذا. 14- فقال له: امض فافتقد سلامة إخوتك وسلامة الغنم واتني بالخبر، وأرسله من وادي جبرون فأتى شكيم. 15- فصادفه رجل وهو تائه في الصحراء فسأله الرجل قائلا: ما تطلب؟. 16- قال: أطلب إخوتي أين يرعون؟.

- جاء في التورات أن إخوة يوسف استعملوا الحمير في أسفارهم، حيث جاء في القرآن أنهم استعملوا البعير، وهو الأصح، لأن الحمير لا تطيق السفر إلى مسافات طويلة وعلى العكس البعير فلها الطاقة لذلك.

- جاء (حل) العقدة في القرآن بانتصار يوسف على إخوته الذين مكروا له.

وأما (حل) عقدة القصة في كتاب الإنجيل فيحمل طابع السرد التاريخي الذي لاطائل منه.

قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ

ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ 100 ﴾ [يوسف: 100] .

-2- البحث النقدي للمسألة:

توصل مالك بن نبي من خلال مقارنة الكتابين المقدسين نقطتين هامتين تتلخصان فيما يأتي[1]:

الأول: أن النبي قد تشبع- دون علم- بالفكرة التوحيدية، التي ربما تمثلها لا شعوريا في عبقريته الخاصة، كما يفيضها بعد ذلك في آيات القرآن.

الثاني: أن النبي قد تعلم الكتب المقدسة اليهودية المسيحية، تعلماً مباشراً، وشعورياً، لكي يستخدم ذلك فيما بعد في بناء القرآن.

تلكم هي المشكلة الخطيرة.

سادسا - إعجاز القرآن من خلال موضوعاته ومواقفه:

- 1- إرهاصات القرآن:

لقد أثبتنا في الفصل الأول أن الوحي تلقائي وغير شخصي ونضيف مع ذلك هنا أن هذا الذي أثبتناه هو بلا شك الخصائص الظاهرية المؤثرة في نظر النبي، والتي دفعته إلى أن يدعم اقتناعه الخاص بالسر الإلاهي في القرآن، وبدون هذا الشرط الذي نضعه مقدما ليصبح اقتناع النبي في ذاته غير مفهوم. إنه ورغم انفصال الوحي عن الذات المحمدية وعدم إعمال فكره عليه الصلاة والسلام في قوله، إلا أنه يجد في نفسه نوعا من التنبؤ بما سيأتي بعد كل آية كأنما هو سحر، وهو في الحقيقة ما يسمى بالوحدة الموضوعية أو التدرج في طرح الفكرة تعطي للمتلقى نوعا من التنبؤ بما سيأتي من الآيات عن ما كان من المنصرم.

[1] مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص: 255.

وفي قوله عزّ وجل﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا 5 ﴾ [المزمل: 5] إن الثقل ليس بمستواه المادي وإنما هو نابع من مستواه المعنوي المتمثل في أعباء الوحي ونشر الرسالة. وهو أيضا في ميزان التاريخ ثقل الحضارة الإسلامية الفتية والتي كانت آخر حضارة متحضرة حقا.

ويمكن أن نؤكد نقطتين:

ا- فمن الوجهة التاريخية، لم تكن الفكرة المحمدية قد ضمت بعد تفاصيل قصة يوسف قبل أن ينزل بها الوحي.

ب- ومن الوجهة النفسية ليس (لشعور) النبي أي دور في عملية الوحي. وأما في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ 1 ﴾ [النور: 1]، يظهر من خلال الآية التخطيط المبسط للسورة المنزلة، التي تشتمل على (الآيات البينات) وهي مازالت في حيز القوة، ولم تخرج إلى نطاق الفعل.

VI – 2- مالا مجال للعقل فيه:

الإعجاز من خلال فواتح السور: لقد جاء في طيات القرآن سور كثيرة تستفتح بحروف مبهمة لا معنى لها في ظاهرها والقرآن والنبي لم يأتيا بشرحها وتركت مفتوحة، إن هذه الحروف لا يمكن بحال من الأحوال أن يبتكرها محمد ﷺ من عنده وبفرضه .

VI – 2– أ– جدول احصائي لفواتح الصور :

الحروف	الصور
الم	البقرة –ال عمران –العنكبوت– الروم– لقمان– السجدة.
المص	الأعراف
الر	يونس– هود – يوسف– إبراهيم– الحجر
المر	الرعد
كهيعص	مريم
طه	طه
طسم	الشعراء – القصص
طس	النمل
يس	يس
ص	صاد
حم	غافر– فصلت –الزخرف– الدخان– الجاثية– الأحقاف
حم عسق	الشورى
ق	ق
ن	القلم

هذه بصفة عامة فواتح الصور التي ذكرت في القرآن والتي لا مجال فيها لأعمال الفكر، ولا يمكن أن نعتقد بتأويلها. فهي مجرد إشارات حاول بعض المفسرين أن يؤولوها لكن في الحقيقة إنها حكر على العلم الغيبي الذي لا يمكن تأويله. ولو كان لبشر أن يؤوله لكان هذا البشر سيدنا محمدﷺ، وهذا يؤكد أن هذه الحروف مجرد رموز أو مفاتيح حفظت معانيها عند عليم خبير وليس للذات المحمدية فيها تخيير أو تأويل أو تغيير. إن هذه الرموز تبدو للجاهل لا معنى لها ولاصنيع لها في النص القرآني، لكن ما لا يمكن إنكاره، أن لها عظيم الصنيع في إثبات انفصال الذات المحمدية في صناعة النص عن ذات الوحي وأنه لا تصرف له فيه، حتى إنه لم ينقل لنا معانيه، أي أن النبي لم يكن يسأل أو يستفسر حتى وإن

لم يوت فهم المسألة إنما ينقلها كما استقبلها فقط.. واختصارا ليس لنا أن نحمل الظاهرة على طارئ نفسي أو عضوي مفاجئ لدى النبي، ولا أن نؤولها باعتبارها نقصا أدبيا، في نص يعد حقا كاملا."[1]

VI – 3- الإعجاز من خلال تحديد المناقضات:

إن المناقضات والمعارضات التي تعرض لها النبي بين شخصه والوحي باب مهم من أبواب الإعجاز التي لا يمكن بحال إغفالها، فإن كان ما قلنا عن استقلال الذات النبوية وذات الوحي حقيقة يجب تصديقها، فيصبح هدفنا من هذا الموضوع أن نؤكد محاولتنا تلك بتفصيل القول فيما حدث من مناقضة صريحة بين الميولات والاتجاهات الطبيعية لدى النبي و مايدفعه إليه الوحي، ومن أمثلة ذلك:

- **المناقضة الأولى:** إنكار ذات النبي المتمثلة في إعمال الفكر للذكر، قال تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا 114 ﴾[طه: 114]، لقد كان النبي يجهد ذاكرته كي لا ينسى ما لقنه الروح الأمين من وحي الله العزيز الحكيم، فهو يكرره في نفسه كي يتمكن من حفظه. وهي رياضة ذهنية يمارسها الجميع لتقوية الذاكرة وتمكين الحفظ، لكن الوحي أنكر على النبي فعل ذلك وخص ذات الوحي بالحفظ.

فمن خلال الآية يتضح أن سلوك النبي الغير منافي للطبيعة، إذ يطلق النبي لإرادته العنان حتى يحفظ بالتكرار ما تفجر في مجال عقله مما نزل عليه من الوحي، فجاءه الوحي وأنكر عليه فعله. فالآيات إذن تهدف إلى مصادرة حريته باستخدام ذاكرته ، فنلاحظ مناقضة واضحة بين القانون القرآني والذات المحمدية هذا ولا مجال للشك لدليل يقيني على خاصتي السمو والإطلاق للسلطة القرآنية.

-**المناقضة الثانية** : بحسب مالك بن نبي تتمثل في حياته الخاصة –النبي–، هذه الحياة التي ارتكز عليها بناء للصرح القويم للتشريع القرآني، فكانت هذه القوانين تطبق عليهﷺ

[1]– مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص: 276.

خلال حياته كما تطبق على أبناء المسلمين. فعنْ عائشة رضي الله عَنْهَا قَالَتْ: "كَانَ خُلُقُ نَبِيِّ اللَّه ﷺ الْقرآن" رواهُ مُسْلِم في جُمْلَةِ حدِيثٍ طويلٍ[1]. ولا عجب بعد أن رأينا ما لهذا الارتباط بين أحداث حياة (الرجل) وبين قانون السماء من قيمة تربوية، وأن من الحوادث التي ندرسها في إثبات قوانين التشريع على النبي كبشر كما هو لغيره من بني جلدته من بني البشر.

– **المناقضة الثالثة:** النبي كبشر يصيبه ما يصيب كل البشرمن الفرح و الحزن لما في الحياة من نوازل، ومن بين هذه النوازل كانت(حادثة الإفك)[2] المشهورة في السيرة النبوية، فقد كان المنافقون يتصيدون الفرص للإطاحة بالنبي وللتقليل من قيمته وقطع أواصل الرسالة التي أنزلت عليه. لقد كانت هي الفاجعة، إتهام أهل بيت الرسولﷺ بالفاحشة، فرغم نبوته فهو بشر ويصيبه في نفسه ما يصيب أعقل رجل حين يلحقه مثل هذا الغم من الحزن لعظيم هذه التهمة. إلا أن الله كان للمنافقين بالمرصاد وحلت الأزمة بما يرضي أم المؤمنين، لكن البراءة لم تكن إلا بعد شهر كامل، فلو كان للنبي في الوحي رأي لأنفذه في رفع العار عن نفسه و أهله. ولما كان من النبي أن يرجع زوجه إلى بيتها طلب منها أبوها أن تشكره، أصرت أن الشكر لن يكون لغير الله الوحيد الذي برأها و كمم الأفواه عنها ، فرفضت، فكان رفضها وهي زوجه، شهادة على أن الوحي ليس من عنده بل من رب العالمين، وهي دلائل تتوالى مع تكالب المنافقين على أن الوحي معجز منزل من رب العالمين، إذ قالت أمنا عائشة: (والله لا أقوم فإني لا أحمد إلا الله عزّ وجل) .

[1]– أخرجه أحمد (25813) واللفظ له، وأبو يعلى (4862)، والطحاوي في (شرح مشكل الاثار) (4435) مطولا. الألباني، صحيح الجامع، 4811، موسوعة الحديث، دار السنة. Https: .//www.dorar.net/hadith/sharh/135240

[2]– القصة مذكورة في جميع كتب الحديث، وقد رواها تحت عنوان (باب حديث الافك) عن طريق عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن القواص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها.

VI – 4-الموافقـات[1]:

من خلال هذا العنصر يرمي بن نبي إلى إثبات صحة هذه المعادلة: الأفكار المحمدية = الأفكار القرآنية. فإذا ماصحت إنتفاء عنصر الإستقلال وكان الفكر المحمدي سببا في وجود الكيان القرآني، وإن أثبتت استحالة هذا الأمر فقد حققنا المراد من العجز البشري وبخاصة الذات النبي بأن يكون عنرا مسببا في الوحي.

لقد تعود الفكر في أن يفكر فيما هو معلوم، وفيما هو قابل للعلم مما يتصل بالمستوى الإنساني الذي يتجول من خلال الوحي في واسع آفاقه.

إننا إذا لاحظنا اطراد الفكرة القرآنية فسنكتشف روحا مذهلة، ونسقا رفيعا لا يصدر إلا عن معرفة مطلقة محظة تتدفق منها الآية. إن هذه الغرائب والإيحاءات القرآنية تحيلنا إلى الكشف عن المصدر الغيبي الذي تدفقت منه تلك الفكرة التي سبقت عصور التقدم الإنساني، وما أكدها العلم الحديث في خضم أبحاثة، بعد عدد من القرون وزمان طويل من البحث، لم يكن للنبي فيها من جهد إلا أن بلغ مارسل به، وهو شاهد على السر الأسمى للمعرفة القرآنية.

إن الخطاب موجه لبني البشر الذين يسكنون في هذا الكون بجميع آفاقه وأركانه ليتجولوا من خلاله ولينظروا في صنعته وعجائبه، ليعلموا يقينا أنه كما قال به الوحي الكريم بدون أي تبديل.

إن إجابات هذا المتأمل في الكون لن تكون معادلات رياضية أو نظريات علمية فالقرآن بعيدا عن هذا اللغط والسرد. وبالنظر إلى الآية التالية: ﴿بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٤٤ ﴾ [الأنبياء: 44] في هذه الآية نجد فكرتين أساسيتين:

الأولى: ذات طابع هندسي، (أطرافها) .

الثانية: ذات طابع آلي عبرت عنه صراحة (ننقصها) .

[1]- مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 282.

إن كلمة أطراف، توحي شكلا هندسي معين، فما هو؟ الكون ذو أبعاد ثلاثة، ولكن جميع الأشكال في الفضاء لا تتفق مع الأبعاد الثلاث، فباعتبار إنقاص الأطراف، فأقرب الأشكال إلى التصور هو الشكل البيضاوي.

إن هذه النظرية التي أثبتها العلم ، تدعمها الأفكار القرآنية، التي تتحدث عن كوكب الأرض بما يتناسب مع الفرضيات التي وضعها العلماء في هذا العصر أي بعد أربعة عشر قرنا من نزول الوحي. وفي حقيقة الحركة وسط درب التبان قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ 37 وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ 38 وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ 39 لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ 40 ﴾ [يس: 37-40]، وهو هنا يعبر عن التبادل بين الليل والنهار وتعاقب فصول السنة وكل ذلك من خلال هذه الآيات. وأخيرا فإن الأخبار العلمية تؤكد ما جاء بين دفتي هذا القرآن من أخبار عن الكون والفضاء والكواكب والنجوم، وهذا القرآن المعجز بنفسه يدعو للتأمل كي ندرك هذه الحقائق التي تحيل بالعاقل إلى الحقيقة.

وأخيرا يحيلك التأمل إلى حقيقة الإنسان وماهية ومصدر هذا الحيوان، لا يمكن أن يكون قد وجد من فراغ أو إنه كان من عند نفسه.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ 7 ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ 8 ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ 9 وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۢۚ بَلۡ هُم بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ 10﴾ [السجدة: 7-10]، فقد صور للقارء المراحل مرتبة لخلق الانسان دون أي سقط،فالله يحدد بداية هذا الخلق من الماء إذ يقول﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ 30 ﴾ [الأنبياء: 30]، وقال عزّ من قائل﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ 45 ﴾ [النور: 45]،

وقد يلفت انتباهك هذا السرد: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾ [النور: 35]، ففي هذه الآيات أجمل مجازات القرآن التي ألهمت الغزالي كتابا من أعمق مؤلفاته هو (المشكاة)، فلو قلنا (ولو لم تمسه نار فإن النور يضيء من مشكاة فيها مصباح في زجاجة) ويمكن أن نستطرد في الشرح من خلال المعادلات التالية:

مشكاة = عاكس

مصباح = سلك

زجاجة = أنبوبة

وليس في هذه المعادلات من الإعتساف فهي بكل بساطة مستوحاة من هذه الآية وفي ضوء مجازها الفريد التي تؤدي إلينا فكرة المصباح الذي يضيء دون أن تمسه النار. ومن هنا يدرك الفرق بين الفكرة المستوحاة وما أثبته العلم بعد ذلك.

يقول مالك بن نبي: "أليس عجيبا أن توضع الفكرة الموحات هكذا دائما معالمها المضيئة أمام الفكر العلمي، حتى كأنها تصف له الطريق؟ !. وهل يستطيع أحد أن يقول أن معالم كهذه قد انبثقت من عقل أمي، وبأن هنالك معادلة بين: الأفكار المحمدية والأفكار القرآنية".

خلاصـــة:

نستخلص مما سبق أن الإعجاز في الوحي بالنسبة لمالك بن نبي يتمثل في:

- الوحي كل متكامل معجز بجميع خصائصه ومميزاته
- القرآن سليم من التحريف على خلاف الكتب السماوية الأخرى
- للقرآن تأثيره النفسي والعقلي الذي لا يمكن أن يتحكم فيه بشر أو أن يلغيه عقل.

إن هذه النقاط هي زبدة ما أشار إليه مالك بن نبي من إعجاز فيما يخص الوحي وما استطعنا استخلاصه من خلاله.

خاتمة

خاتمـــــة:

من خلال محاولتنا دراسة الإعجاز في القرآن في نظر مالك بن نبي، توغلنا في عالم آخر من الجمال والفن، فتصاعدنا أحيانا و نزلنا أخرى مع قوة أفكاره، و غزير معانيه. لقد كان هذا العلم كالمحيط الواسع، يأسرك جماله، و يصعب عليك إتيانه. فكنا كلما غصنا في أعماقه، وتوغلنا في أرجاءه، أبهرنا التنوع في أصناف صخوره و أصدافه، و بديع زخرفه و ألوانه، وزادنا حماسة مقدار غناه و ثراءه. إن الذي يحير العقول، كونه علم لم يقتصر على معان واحدة ، أو تفرد بموضوع ، أو انحصر في توجه لا يمكنه أن يزيغ عنه. فقد وجدنا الإعجاز من عصر الوحي إلى يومنا هذا يتغير فحواه، و يتعمق مفهومه، وتتسع دلالاته و أساليبه، مع حفاظه على نقطة واحدة، وهي الهدف القاصد إلى تأكيد إعجاز مكنونه. تنوع يزداد كلما بعد الزمن، عن الوحي و ضن أنه قد اكتمل، يفاجؤك زمان بعده بأبلغ مما كان من الذي سبق، إعجاز في كل زمان و آن، بكل الألوان، ألوان اللغة ، الطبيعة ، و النظم، حتى التكوين ونسق التفكير .كل فن منهم يؤكد أنه حقيقة روح الإعجاز المأسورة بين سطور كتابه. فمن خلال بحثنا وكما درسنا من قبل فإن الإعجاز قد درس قبل مالك بن نبي من قبل المتقدمين أمثال الجاحظ والنظام، من خلال لون من ألوان الجمال، وهو جمال اللغة والبيان، أما المتأخرون، فقد وجدنا عبد القاهر الجرجاني الذي إشتهر بنظرية النظم، ونجد من بين المحدثين الكثير، مثل سيد قطب في الجانب الفني و الذي لونه بأجمل لون، وغيرهم كثير. إلا أن مالك بن نبي قد تفرد بفنه، و بساطة أسلوبه، في دراسة الإعجاز من خلال كتابه – الظاهرة القرآنية– مراعيا فيه المستوى اللغوي والثقافي للمجتمع الإسلامي. ومن خلال إبحارنا فيه، و التفسح في معانيه، و التي هي لب دراستنا، فقد حاولنا أن نختصر أهم ما توصلنا إليه من نتائج ، نظن باعتقادنا أنها أهم أهدافه من خلال كتابه:

- إن أهم هدف لمالك بن نبي هو إثبات إعجاز القرآن وأنه من الله و ليس من بشر.
- إعجاز النبي من خلال إبراز ملامحه و صفاته وصفات غيره ممن ليس لهم علاقة بالنبوة.

- إثبات إعجاز القرآن بالبرهنة على إستقلال الوحي عن النبي سواءا من الجانب الفكري أو الميولات الشخصية والتأثيرات النفسية.
- –إثبات إعجاز القرآن من خلال إبراز خصائص الوحي وتأثير الرسالة، سواءا على شخص النبي أو على غيره من المخلوقات
- –إثبات إعجاز القرآن و أنه من لدن الواحد الأحد وأن النبي غير مخير، و إنما هو مختار من السماء لتبليغ ما أمر به من السماء وكان برهانه على استقلاله عن ذات البعثة هو هذا النص المعجز.
- رفع الشبهات عن الوحي و النبي من خلال إبراز الحكمة من وراء نزول الوحي منجما على دفعات، وكيفية انقطاع الوحي و الحكمة منه.

من خلال هذه النقاط التي أحاطها مالك بن نبي من خلال كتابه – الظاهرة القرآنية– بالتحليل، والوصف، والشرح، إلى إظهار العديد من ملامح الإعجاز في القرآن الكريم بحيث يتمكن من إقناع القارئ بالدليل والحجة بأن القرآن معجز كما وكيفا وأن النبي محمدﷺ نبي مرسل يوحى إليه الوحي ليبلغه كما أنزل إليه.

كما رأينا فقد كان أسلوب مالك بن نبي متسلسلا منطقيا في الطرح، يناقش العقل الواعي الذي يريد أن يستنير، فيعطيه الدليل و يحاجيه بالبرهنة و التحليل. لا يتكلم في لغة ، أو تشريع أو علم لا يستطيعه الإنسان البسيط، رغم ما أشرنا إليه آنفا من بعض الصعوبة في التركيب.

بتتبع هذه النقاط يجد القارئ اليوم نفسه محتارا، ففي كل عصر كان له خيار، إما لغوي أو بياني أو غيره من المعاني، حسب حاجة ذلك الزمان، فكيف سيكون الأسلوب في بيان الإعجاز في أيامنا هذه الأخيرة؟ أين أصبح التلفاز في الغالب زينة، و الكتب في الخزائن دفينة؟ و المنابر للأئمة و القلة البصيرة؟ و أصبح الهاتف عضوا من أعضاء الجسد، فمن خسره شل و انتكس؟ كيف للمفكر الداعية إلى ربه من ابراز إعجازه، وكيف له أن يخترق كل حاجز، ويسمع صوته لكل هاتف؟ كيف سيكون و قد أصبح يصدق الدجال و الكاهن؟ و أصبح الساحر

صاحب قوى خارقة وتأملات صادقة و بصمات في الحياة ناطقة؟ كيف تحاور فكرا أحيط بالترهات و صدق الخزعبلات و ركض و راء من يزين له الشهوات؟.

الفهارس

- قائمة المصادر والمراجع
- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام

المصادر و المراجع

- القران الكريم (المصحف المنزل على منصة الشاملة برواية حفص)

المصـــادر و المراجع:

- أبو الفضل القاضي (أبو الفضل بن موسى اليحصبي)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، حاشية الشمني، دار الفكر للطباعة و النشرو التوزيع، 1988م .
- الأزهري (محمد بن أحمد) ،تهذيب اللغة ،ط1، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001. ج1.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 2002م.ج1.
- الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب)،إعجاز القرآن، تحقيق سيد أحمد صقر، ط5، دار المعارف، مصر، 1997م.
- الباقلاني، نكت الانتصار لنقل القرآن ص، منشاة المعارف، الإسكندرية، 1971م..
- البجوري، شرح البيجوري على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد ، مطابع الشعب، 1386 هـ / 1966 م، ج3.
- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان)، دلائل الإعجاز،ط3، دار المدني ، جدة1992م.
- الخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم)، بيان إعجاز القرآن، تحقيق زغلول سلام، ط3، دار المعارف، مصر.
- رشيد رضا ، الوحي المحمدي، ، القاهرة 1935م.
- الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى بن علي)، النكت في اعجاز القرآن، ، ط3، دار المعارف، مصر، 1976م.
- الزرقاني (محمد عبد العظيم)، مناهل العرفان، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه

- السخاوي (علم الدين علي بن احمد)،جمال القراء، القاهرة 1987م.
- السيوطي (عبد الرحمان بن ابي بكر)،الإتقان في علوم القرآن،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.
- السيوطي، معترك الأقران، ط2، القاهرة، 1972م.
- عبد الرزاق عفيفي، مذكرة التوحيد.وزارة الشؤون الإسلامية و الأوقاف و الدعوة والارشاد، المملكة العربية السعودية، 1420هـ.
- الطبري، تفسير الطبري من كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط2، مج2، مؤسسة الرسالة، 1415هـ- 1994م.
- مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن- الطفل. ط2،دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1413هـ- 1993م.
- محمد رشيد بن على بن رضى (القلموني)،الوحي المحمدي، ط1 ،دار الكتب العلمية، بيروت، (2005م)،.
- مصطفى مسلم ، مباحث في إعجاز القرآن، ط3، دار الفكر، دمشق، 2005م.
- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي)، لسان العرب (عجز)،الحواشي لليازجي و جماعة من اللغويين، ط3، دار صادر، بيروتن 1414هـ.
- موسى ابن ميمون، دلالة الحائرين،.مطبعة جامعة أنقرة، أنقرة، 1972 م .
- أبو زهرة (محمد بن احمد بن مصطفى)،المعجزة الكبرى القران ،دار الفكر العربي.
- احمد رضى، معجم متن اللغة (5/ 722)، دار مكتبة الحياة، لابيروت (1377هـ - 1380هـ).
- إعجاز التشريعي في الاسلام2، 31 ديسمبر 2013، مؤرشف في الأصل في 20 مارس 2020.اطلع عليه بتاريخ: 12 فبراير 2021

- الراغب الاصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)، المفردات في غريب القرآن 547، تحقيق صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، 1412هـ.ج9.

- ابن النديم (محمد بن إسحاق) في الفهرست ، ط3، دار المعرفة، بيروت. الواسطي (محمد بن يزيد)،

- الباقلاني، إعجاز القرآن ، دار المعارف ، مصر.

- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد)، وفيات الأعيان و النبلاء أبناء الزمانن، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت.

- الراغب الأصفهاني، معجم المفردات في غريب القرآن ، تحقيق: محمد سيد كيلاني مطبعة البابي الحلبي، مصر 1961 م،

- الزركشي (محمد بن عبد الله)،البرهان في علوم القران ، ط2، القاهرة 1972م.

- سفر التكوين ، ترجمة الإباء اليسوعيين (العهد القديم) المجلد الأول ، الطبعة الثانية، مطبعة اليسوعيين بيروت عام 1882.

- الشافعي (محمد بن ادريس)، الرسالة الشافية، ط1، الناشر مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، 1938م.

- صحيح البخاري 97/6 كتاب الفضائل، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل –المكتبة الإسلامية – استانبو

- عبد الله بن حمد العويسي، مالك بن نبي ...حياته وفكره.،ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، 2012م.

- العسقلاني(ابن حجر أحمد بن علي)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ترقيم الاحاديث محمد فؤاد عبد الباقين تخريج و تصحيح محمب الدين الخطيب، تعليق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروتن 1379هـ. ج9، 13.

- غانم قدورى، محاضرات في علوم القرآن ،ط1، دار عمان، عمان.

– ابن فارس (أحمد بن فارس القروينى)، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979.ج4.

– قاموس الكتاب المقدس لنخبة من ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ص: 949، ط/ 2، بيروت، 1971 م،

– القرطبي (أبو عبد اللهمحمد بن احمد)، الجامع لأحكام القرآن، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م.

– القرطبي(أبو عبد الله محمد احمد الانصاري)،الجامع لأحكام القرآن، تحقيق احمد بردوني، تحقيق إبراهيم اطفيش، ط3 ،دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م.

– مالك بن نبي (بن الحاج عمر بن الخضر)، الظاهرة القرآنية، ترجمة: الشيخ عبد الله دراز، تقديم: تحقيق و اشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، سورية، 2000م.

– مالك بن نبي، شروط النهضة، نسخة محفوظة 19 يونيو 2018 على موقع واي باك مشين.

– مصطفى مسلم ،مباحث في إعجاز القرآن ، ط3، دار القلم، دمشق، 1988م.

– مصطفى مسلم، «مباحث في إعجاز القرآن» ، ط3 ،دار القلم ، ديمشق، سورية. (2005م)

المواقـع الالكترونيـة:

–رواه البيهقي في دلائل النبوة. https:

/www.alukah.net/sharia/0/103195///فصاحة– القرآن– وبلاغته/

https: //ar.wikipedia.org/wiki/عبد– الله– دراز.

https ://m.facebook.com/wanaselkotob/a.626403994108374/2860716437343774/ ?type=3&_rdr

– وكالة الفهرسة للتعليم العالي — Identifiants et Référentiels — تاريخ الاطلاع: 2 مايو 2020بـ«ابن الكتب».

- موسوعة الأعلام، خير الدين الزركلي، 1980 نسخة محفوظة 26 يناير 2020 على موقع واي باك مشين.

– خير الدين الزركلي، الأعلام. دار العلم للملايين - بيروت. الطبعة الخامسة - 2002. المجلد السادس،

– برنامج المكتبة الشاملة .

- المكتبة الشاملة ـــ علم الدين السخاوي (558 - 643 هـ = 1163 - 1245 م) ، تاريخ الاطلاع: 3 فبراير 2021 ، مؤرشف من الأصل في 3 فبراير 2021.

- https://libris.kb.se/katalogisering/64jlhl2q0djxqtq ـــ تاريخ الاطلاع: 24 أغسطس 2018 تاريخ النشر: 17 سبتمبر 2012 ـــ

- Disambig gray RTL.svg هذه المقالة عن العلم السخاوي. لمعانٍ أخرى، طالع السخاوي (توضيح).

– – الإعجاز التشريعي في الاسلام2 (باللغة الإنجليزية)، 31 ديسمبر 2013، مؤرشف في الأصل في 20 مارس 2020.اطلع عليه بتاريخ: 12 فبراير 2021.

– مذكرات التخرج:

–عبد الله بن محمد بن رميال الرمياء (الدكتور) ،«آراء القرطبي والمازري الاعتقادية من خلال شرحيهما لصحيح مسلم» ،(مخطوط مذكرة تخرج أطروحة دكتورا) جامعة ام القرى بمكة المكرمة ،ط1 (1427هـ).

– محمد زين العابدين الطشو، شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة ،(مخطوط مذكرة تخرج ماجستير) ، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين القاهرة.

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة					
23	11	48	47	233	47
233	47	231	47	219	51
284	47				
آل عمران					
110		21		44	35
النساء					
82	20	43	51		
المائدة					
31	10	05	18	31	56
90	51				
الانعام					
38					
التوبة					
40	49				
يونس					
94	36	22	37	22	49
يوسف					
03	22	12	30	53	43
68	45	03	46	100	53
النحل					
68	30				
الاسراء					
17	10	09	17		
الكهف					
54	18				

طه					
		56	114	36	99
الأنبياء					
58	30	57	44	16	90
النور					
54	1				
		58	35	58	45
الشعراء					
39				26	195-192
القصص					
-		40	31-30	17	07
الروم					
		45	08	19	5-1
لقمان					
				46	16 ً
العنكبوت					
45	58	36	48	10	51-50
السجدة					
84	9-7			58	10-7
يس					
69	36			57	40-37
ص					
				60	70-67
الشورى					
		40	51	35	42
الاحقاف					
				23	9
الفتح					

				19	27
ق					
				44	16
النجم					
				33	13-1
المعارج					
				49	4
المزمل					
					5-4
المدثر					
				29	2-1
القيامة					
		45	14	44	2
الفجر					
	-			44	28-27
الشرح					
				28	3-2-1
العلق					
				6	1
المسد					
				17	4

فهرس الأحاديث

المتن	التخريج	الصفحة
الرسول ﷺ في قوله: "ما من الأنبياء إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليَّ، فأرجو أنْ أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"	صحيح البخاري 97/6 كتاب الفضائل، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل -المكتبة الإسلامية – استانبول	10
فعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: (قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل (يُلقِّحون النخلَ) فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنعه، قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا، فتركوه فنفضت، فذكروا ذلك له فقال :إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشئ من رأى فإنما أنا بشر (رواه مسلم . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بقومٍ يُلقِّحون فقال :لو لم تفعلوا لصلَح، قال فخرج شِيصاً (تمراً رديئاً) . فمرَّ بهم فقال :ما لنخلِكم؟ قالوا: قلتَ كذا وكذا، قال :أنتم أعلمُ بأمرِ دنياكم (رواه مسلم).	رواه مسلم – كتاب الفضائل – باب 38، والفقرة الأولى من النص الذي ذكره المؤلف من حديث عن رافع بن خديج –رضي الله عنه– والفقرة الثانية من حديث عن طلحة بن عبيد الله، وكلاهما وارد بمناسبة حادثة تأبير النخل: "المعرب".	.36
فعنْ عائشة رضي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ: "كَانَ خُلُقُ نَبِيِّ اللَّه ﷺ الْقرآن" رواهُ مُسْلِم في جُمْلَةِ حدِيثٍ طويلٍ.	اخرجه احمد (25813) واللفظ له، وأبو يعلى (4862)، والطحاوي في (شرح مشكل الاثار) (4435) مطولا. الالباني، صحيح الجامع، 4811، موسوعة الحديث، دار السنة. https: //www.dorar.net/hadith/sharh/135240	.57

فهرس الأعلام

اسم العلم	الصفحة
مالك بن نبي (بن الحاج عمر بن الخضر)	08
أبو حجر العسقلاني (ت 852هـ)	12
الجاحظ (ت 225هـ)	13
النظام (إبراهيم ابن إسحاق بن سيار) (توفي مابين: 221هـ- 22هـ)	13
الخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم) (ت)	14
الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى) (ت386هـ)	14
الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب) (ت403هـ)	14
الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر أبو عبد الرحمان) (ت471هـ)	14
القاضي عياض بن موسى (ت544هـ)	15
السخاوي (علم الدين علي بن محمد) (ت643هـ)	15
القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد) (ت 684هـ)	16
الزركشي (بدر الدين) (ت 74هـ)	16
السيوطي (جلال الدين) (ت911هـ)	16
امين الخولي	17
سيد قطب	18
عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ	17
عبد الله فكري	18
عبد الله دراز	18
عبد الرزاق نوفل	18
الطنطاوي جوهر	18